روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا !!

٥٤

عبر العصور

باسل

Www.dvd4arab.com

ملف المستقبل • عبر العصور • ٥٤ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

عبر العصور

- ما الزمن ؟.. وهل يمكن أن يسافر الإنسان إلى الماضى والمستقبل ؟
- مَنْ ذلك العدوّ ، الذى يطارده (نور) وفريقه فى مجرى الزمن ؟
- لمن يكون النصر فى هذه المغامـــرة المذهلة ؟.. ألـ (نور) وفريقه؟ أم لعدوّ يجوب (عَبْرَ العصور) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حلّ اللُّغز .

٥٤

الثمن فى مصر
٧٥ قرشا
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيـة والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : أسرى الزمـن



١ ـ زُوَّار فوْقَ العادة ..

توقَّفت سيَّارة (رمزى) الصاروخية ، أمام منزل (نور) ، فى الحادية عشرة من مساء تلك الليلة ، التى غاب فيها القمر ، وساد الظلام والهدوء ، وهبط (رمزى) من سيَّارته ، وهو يغمغم فى قلق :

ـ لماذا يدعونا (نور) إلى مقابلته فى تلك الساعة المتأخرة يا تُرَى ؟

هَبَطَ خلفه (محمود) ، وهو يغمغم :

ـ ربَّما كانت قضية جديدة .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

عبر الاثنان حديقة منزل (نور) فى خطوات سريعة ، حتى وصلا إلى الباب فضغط (رمزى) زِرَّ الجرس ، وهو يغمغم :

ـ لولا موعدنا معه ما جرؤت على قرع جرس منزله فى ذلك الوقت المتأخر .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تفتح (سلوى) الباب ، وهى تهتف فى دهشة :

ـ (رمـزى) ؟!.. مرحبًـا بك .. مرحبًـا بك يا (محمود) .. ما الذى ....؟

بترت عبارتها قبل أن تكمل سؤالها ، الذى بدا لها منافيًا لقواعد اللياقة والذوق ، وأسرعت تفسح لهما الطريق ، وهى تهتف فى حرارة :

ـ تفضّلا .. سيسعد (نور) برؤيتكما .

دَلفا إلى الداخل فى هدوء ، وسألها (محمود) :

ـ أين (نور) ؟

قبل أن تجيبهما جاء صوت (نور) ، وهو يقول فى ترحاب :

ـ هُنا يا (محمود) .. مَرْحبًا بكُما .

صافحاه فى حرارة ، وغمغم (رمزى) مجاملًا :

ـ كيف حال (نشْوَى) ؟.. ابنتكما الصغيرة .

ابتسم (نور) وهو يجيبه فى هدوء :

ـ فى خير حال .. لقد أوت إلى فراشها منذ التاسعة .

جلس الجميع فى حجرة المعيشة الأنيقة ، وران عليهم الصمت لحظات ، وكأنما يعجز كل منهم عن إيجاد عبارة مناسبة لمواصلة الحديث ، ثم مال (رمزى) نحو (نور) ، يسأله فى اهتمام :

ـ حسنًا .. لِمَ دعوتنا لمقابلتك الآن يا (نور) ؟

اتسعت عينا (نور) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ أنا ؟!.. أنا دعوتكما لمقابلتى ؟!

تبادل (رمزى) و (محمود) نظرات دهشة وحَيْرة ، قبل أن يهتف الأخير :

ـ بالطبع يا (نور) .. لقد تلقَّى كلّ منا إشارة الاستدعاء السِّرِّيَّة ، عبْرَ ساعته الخاصة ، و....

ومنعته نظرة الارتياع ، التى تجلّت فى عينى (نور) من الاسترسال ، فبتر عبارته بغتة ، فى حين غمغم (رمزى) فى ذعر :

ـ من فعل إذن ؟!.. إن إشارة الاستدعاء بالغة السِّرِّيَّة .

هبَّ (نور) من مقعده ، وهو يقول فى توتُّر وجزع :

ـ أظن أنها لم تعد كذلك يا (رمزى) .

وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـ من الواضح أنَّ شخصًا ما ، أو مجموعة ما قد توصَّلت إلى شفرتنا السِّرِّيَّة ، وتعمل على استغلالها لجمع الفريق كله فى مكان واحد ، لغرض ما ..

شحُبَ وجه (سلوى) ، وهى تغمغم :

ـ هل تظن أنهم يهدفُون إلى قتلنا معًا أو .... ؟

قاطعها (نور) فى حزم :

ــ ليس هذا بالاحتمال المُستَبعَد يا (سلوى) ، وهذا يدفعنا إلى ضرورة التحرُّك فى سرعة ، ومحاولة حماية أنفسنا ، وفهم ما يدور حولنا ، قبل أن نخسر المعركة .

هبَّ (رمزى) و (محمود) من مقعديهما ، وهتف الأوَّل فى صرامة :

ــ لسنا لُقمة سائغة إلى هذا الحدّ يا (نور) .

وهتف (محمود) فى توتُّر :

ــ ولكن مَنْ فعلَ هذا ؟.. مَنْ ؟

جاءت الإجابة فجأة ، وبصوت هادئ عميق ، يقول فى حزم واضح :

ــ نحن .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، وأسرع (نور) ينتزع مسدَّسه الليزرىّ ، ويصوِّبه إلى الرجلين ، اللذين يقفان هادئين ، أمام باب المنزل ، وقد ارتدى كل منهما زيًّا عجيبًا ، من قطعة واحدة ، يغطى جسديهما كله ، ويبدو كغلاف ملتصق ، يلتمع بضوء بنفسجى هادئ ، فيما عدا رأسيهما وعنقيهما العاريين ..

وعلى الرغم من الهدوء الذى يملأ ملامح الرجلين ،



التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، وأسرع (نور) ينتزع مسدَّسه الليزرىّ ، ويصوِّبه إلى الرجلين ..

والابتسامة العريضة على وجهيهما ، فقد بدوَا على نحو مثير للرهبة والقلق ، فى نفوس أفراد الفريق ، حتى أن أحدهم لم ينطق بكلمة لبعض الوقت ، قبل أن يلوِّح (نور) بمسدَّسه ، فى وجهى الرجلين ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ مَنْ أنتما ؟.. كيف عرفتما شفرتنا السِّرِّيَّة ؟.. وكيف نجحتما فى التسلُّل إلى هنا ، على الرغم من وسائل التحذير والإنذار ؟

ابتسم الرجل الأكبر سنًا ، وهو يقول فى هدوء :

ــ اهدأ أيها الرائد (نور) .. إننا لسنا أعداء لك أو لفريقك كما تظن .. إننا أصدقاء و ...

قاطعه (نور) فى جِدَّة وصرامة :

ــ إننى لم أتلقَّ جوابًا عن أسئلتى بعد .

ابتسم الرجل ، وتبادل نظرة هادئة مع زميله ، ثم أجاب :

ــ أنا (طاهر) ، وهو (سليمان) .. ونحن مصريَّان مثلكم ، ونحتاج إلى معاونتكم .

قال (نور) فى صرامة :

ــ هذا لا يبرِّر أو يفسِّر وصولكما إلى هنا ، ومعرفتكما للشفرة السِّرِّيَّة .

ابتسم الاثنان ، وتبادلا تلك النظرة الهادئة مرَّة أخرى ، ثم قال (سليمان) :

ــ إننا زملاء أيها الرائد (نور) .. إننا نعمل ــ مثلكم ــ لحساب المخابرات العلمية المصرية .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة ساخرة :

ــ أخطأت .. من سوء حظك أننى أحتلّ مركزًا حسَّاسًا فى المخابرات العلمية ، يجعلنى أحفظ عن ظهر قلب ، أسماء ووجوه كل من يعمل لحساب المخابرات العلمية المصرية و ....

قاطعه (طاهر) :

ــ هذا ينطبق على القرن الحادى والعشرين أيها الرائد .

تبادل (نور) وفريقه نظرة دهشة ، ثم غمغم (رمزى) :

ــ ماذا تعنيان ؟

ابتسم (طاهر) و (سليمان) ، وهما يتبادلان النظرات ، ثم أجاب (سليمان) فى هدوء :

ــ نعنى أننا نعمل حقًّا فى المخابرات العلمية المصرية ، ولكن ليس فى هذه الحقبة من الزمن .

وأكمل (طاهر) فى بساطة :

ــ إننا ننتمى فى الواقع إلى مستقبلكم .. إلى القرن الخامس والثلاثين .. إننا زوَّار فوق العادة .

* * *

٢ ـ كل الأزمنـة ..

اتسعت عيون (نور) وفريقه فى ذهـول ، وهتـفت (سلوى) فى دهشة وارتياح :

ـ يا إلهى !!

ولم ينبس (محمود) ببنت شفه ، فى حين غمغم (رمزى) :

ـ إلى القرن الخامس والثلاثين ؟!!!

أما (نور) ، فقد كان أوّل من تغلّب على ذهوله منهم ، وعاد يلوّح بمسدّسه الليزرىّ فى وجهَى الرجلين ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ لو أنها خدعة ، فهى أسخف خدعة رأيتها فى حياتى ، فأنا أرفض تمامًا فكرة التجوال عبر الزمن ، كما لو كان طريقًا ممهّدًا ، بلا رسم عبور .

غمغم (رمزى) فى توتُّر :

ـ ولكننا مرَرْنا بتجربة مشابهة يا (نور)(*) .

(*) راجع قصة (ثقب فى التاريخ) .. المغامرة رقم (٤٣) .

هتف (نور) فى حِدَّة :

ـ تجربة فردية يا (رمزى) ، وتحت ظروف عشوائية خاصّة ، من العسير تكرارها و ....

قاطعه (محمود) :

ـ لا تنس أن عودتنا إلى عصرنا لم تكن عشوَائية يا (نور) .

عقد (نور) حاجبيه فى ضيق ، فى حين قال (طاهر) فى هدوء :

ـ أنا أيضًا أشاركك رفضك لفكرة الترحال عبر الزّمن أيها الرائد .

تطلّع إليه الجميع فى دهشة ، فابتسم ، وهو يردف فى هدوء :

ـ ولكن هذا لا ينفى كوننا من مستقبلكم .

صاحت (سلوى) :

ـ أىّ لغز هذا ؟

وهتف (نور) فى حِدَّة :

ـ اسمع يا سيِّد (طاهر) .. أو أيًّا ما كان اسمك الحقيقى .. إننى أرفض حديثك كله ، وأصرّ على إثبات قولك أوَّلًا ، قبل أن تلقى بنا فى نهر الحَيْرة والألغاز .

ابتسم (سليمان) ، وهو يقول :

ـــ إثبات ذلك أمر بالغ البساطة أيها الرائد ..

ولم يكد يتم عبارته حتى اختفى فجأة ..

اختفى كما لو كان قد تلاشى تمامًا ..

وتراجع الجميع فى دهشة وذعر ، ثم هتف (نور) فى حِدَّة :

ـــ أية حيلة تلك ؟.. هل ستحاولان خداعنا بألعاب الحواة والشعوذة ؟

جاءه صوت (سليمان) من خلفه يقول فى هدوء :

ـــ بل هو العلم أيها الرائد .. علم القرن الخامس والثلاثين .

استدار الجميع إلى مصدر الصَّوْت ، ورأوا (سليمان) يقف هادئًا ، مبتسمًا ، فهتفت (سلوى) :

ـــ يا إلهى !!.. ماذا يحدث هنا ؟

هزَّ (سليمان) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ الانتقال الآنى يا سيِّدتى .. انتقال ذرات الجسم دفعة واحدة من مكان إلى آخر .. إنه حلم علمائكم منذ الربع الأخير من القرن العشرين ، وهو مازال يبدو لهم ، حتى هذه

اللحظة ، أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة ، ولكنهم سيتوصَّلون إليه فى منتصف القرن الثالث والعشرين ، وبالتحديد يوم الخامس من يوليو ، عام ألفين ومائتين وستة وأربعين ، وما ترونه الآن هو تطوير لنظرية الانتقال الآنى بعد اثنى عشر قرنًا من كشفها .

أراد (نور) أن يعترض ، وأن يجد ثغرة فيما رآه أو سمعه ، إلَّا أنه وجد نفسه يخفض فوَّهة مسدسه الليزرىّ ، وهو يغمغم فى استسلام :

ـــ وما الذى جاء بكما من القرن الخامس والثلاثين إلى هنا ؟

أجابه (طاهر) فى هدوء :

ـــ إننا لم نسافر عبر الزمن فى الواقع أيها الرائد (نور) ، وإنما عبر الفضاء .

هتف (محمود) فى حِدَّة :

ـــ أهو لغز جديد ؟

هزَّ (طاهر) رأسه نفيًا فى هدوء ، وأجاب :

ـــ كلَّا .. إنه أمر بالغ البساطة ، وسأشرحه لكم بالتفصيل .

وتنهد ، وكأنما يعدُّ نفسه للحديث ، ثم استطرد :

ـ منذ قرن واحد فى زمننا .. أى فى القرن الرابع والثلاثين ، تقدَّم أحد علماء الفلك المصريين لنيل جائزة (حورس) للعلوم ، ببحث أثار ذهول الجميع واستنكارهم فى البداية ، ولقد أسمى بحثه بـ (كل العصور) .. وملخَّص ما ذهب إليه فى نظريته ، هو أنه توجد عبر الكون آلاف .. بل ملايين المجرَّات ، ومن بينها توجد عشرات المجرَّات ، التى تشبه مجرتنا هذه ، بمجموعتنا الشمسية ، وكواكبها وأقمارها ومداراتها .. بل الحياة فوقها .. وهذا يعنى بالتبعية وجود عشرات من الكواكب ، التى تشبه تمامًا كوكب الأرض ، طبقًا للنظرية القديمة ، التى تقول : « البدايات المتشابهة تعطى دائمًا نتائج متشابهة ، حينما تتشابه ظروف النمو »(*) .. وبناء على نظرية عالم الفلك المصرى ، فإنه توجد فى الكون العشرات من أشباه كوكب الأرض ، بكل تاريخه ، وحلقات تطوُّره ، وحتى الأشخاص الذين يحيون فوقه .. ولكن ..

صمت لحظة ، ليدور بعينيه فى وجوه الجميع ، وكأنما يحاول قراءة أثر حديثه فى ملامحهم ، ثم أردف فى هدوء :

(*) نظرية علمية صحيحة ..

ـ ولكن نظرًا لأن هذه الكواكب لم تنشأ كلها فى وقت واحد ، على الرغم من تشابهها التام ، فهذا يعنى أن كلًّا منها يمرّ بحقبة زمنية تخالف مايمرّ به الكوكب الآخر ، وهكذا .. وطبقًا لهذه النظرية يكون التنقل بين هذه الكواكب ، تمامًا كالتنقل بين العصور والأزمنة ، ففى أحدها يحيا العالم فى عصوره الوسطى ، وفى آخر مازال العصر الحجرى سائدًا ، وفى ثالث بلغ التطوُّر أوجه .. وهكذا دواليك ، وكأن كل هذه الكواكب تسير فى ركب زمنى واحد ، كل منها فى دوره ، فتجد حاضركم هو مستقبل كوكب آخر ، فى حين أنه تاريخ قديم لنا ، وقد يكون حاضرنا هو تاريخ كوكب آخر .

وعاد إلى صمته لحظة ، ليسألهم فى اهتمام :

ـ هل يمكنكم استيعاب هذه النظرية ؟

تبادل أفراد الفريق النظرات ، ثم أجابه (نور) :

ـ نعم .. على الرغم من تعقيدها ، فهى تقول فى اختصار إنه توجد فى الكون عشرات الكواكب ، التى تتشابه تمامًا مع كوكب الأرض ، بحيث يكون أكثرها تطوُّرًا هو نهاية تاريخ ، وأقلها هو بداية تطوُّر .. إنها نظرية طريفة حقًّا .

أجابه (سليمان) :

ـ وصولنا إلى هنا يؤكّد صحة النظرية أيها الرائد ، فأنت وفريقك بالنسبة إلينا تاريخ قديم ، وأحداث نفخر بها ، ولقد استغرق الأمر وقتا طويلًا ، قبل أن ننجح فى تحديد الكوكب الذى يتفق تطوُّره مع زمن تواجدك وفريقك .

سأله (نور) فجأة :

ـ لماذا ؟!.. لماذا تبحثون عنى إذن ، مادمت بالنسبة إليكم مجرَّد تاريخ ؟

عقد (طاهر) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ لأننا نريدك أيها الرائد .. نريدك وفريقك فى مهمة خاصّة ، فى القرن الخامس والثلاثين .

* * *



٣ ـ رحلة إلى كوكب المستقبل ..

« هل أعددتم كل شىء ؟ » .

ألقى (طاهر) هذا السؤال فى هدوء ورصانة ، وهو يتطلّع إلى وجوه أفراد الفريق ، فأجابه (نور) :

ـ نعم .. لقد أرسلنا الصغيرة (نشوى) إلى جدتها ، وحصل كل منا على إجازة طويلة طارئة ، ويمكننا أن نذهب معك ، دون أن يعلم مخلوق ما نحن بصَددِه .

ابتسم (طاهر) ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. هيَّا بنا .

قادهم مع (سليمان) إلى الحديقة ، و (سلوى) تسأله فى قلق :

ـ كم ستستغرق رحلتنا إلى زمنكما ؟.. أعنى إلى كوكبكما ؟

أجابها (سليمان) فى هدوء :

ـ حوالى ساعة .

هتف (محمود) فى استنكار :

ـ ساعة ؟!.. هذا مستحيل !.. إن المسافة التى تفصلنا عن أقرب مجموعة شمسية ، يمكنها ان تتشابه مع كوكب الأرض ، لا يمكنها أن تقلّ عن ألفى سنة ضوئية و .... (*) .

قاطعه (سليمان) ضاحكًا :

ـ يا إلهى !!.. إنك تتحدّث عن علوم عفا عليها الدهر ياصديقى .. إن السفر عبر الكواكب يتم فى زمننا نحن عبر الثقوب الفضائية .

غمغم (محمود) فى دهشة :

ـ الثقوب الفضائية ؟!

ربّت (طاهر) على كتفه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ كنت أتمنى أن أشرح لك هذا الأمر ياصديقى ، ولكن من العسير أن تستوعبه ، فهو حصيلة تطوُّر علوم الفلك والفضاء ، عبر أربعة عشر قرنًا تفصل بين كوكبنا وكوكبكم ، ولكن يكفى أن تعلم أن هذه الثقوب الفضائية تختصر الزمن والمسافة إلى حدّ مُذْهِل ، حتى أنه يمكنك عبْرَها من أن تختصر زمن الانتقال بين كوكبينا ، والذى يستغرق مالا يقلّ عن مليون سنة ضوئية ، إلى مالا يزيد على ساعة واحدة .

(*) السنة الضوئية : هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة ، مع العلم بأن سرعة الضوء تساوى ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر/ثانية .

غمغم (محمود) مشدوهًا :

ـ إنه أمر مذهل حقًا .

تدخّل (نور) فى الحديث ، وهو يسأل (طاهر) فى هدوء :

ـ هل يعدّ سؤالى فضولًا ، لو تساءلت عن وسيلة الانتقال ، التى ستنقلّها إلى كوكبكما ؟

ابتسم (طاهر) ، وهو يقول :

ـ كلّا بالطبع .. إنها هنا .. فى حديقة منزلك .

كان الجميع يقفون فى حديقة المنزل فى تلك اللحظة بالفعل ، فتلفّتوا حولهم فى حَيْرة ، ثم غمغم (رمزى) :

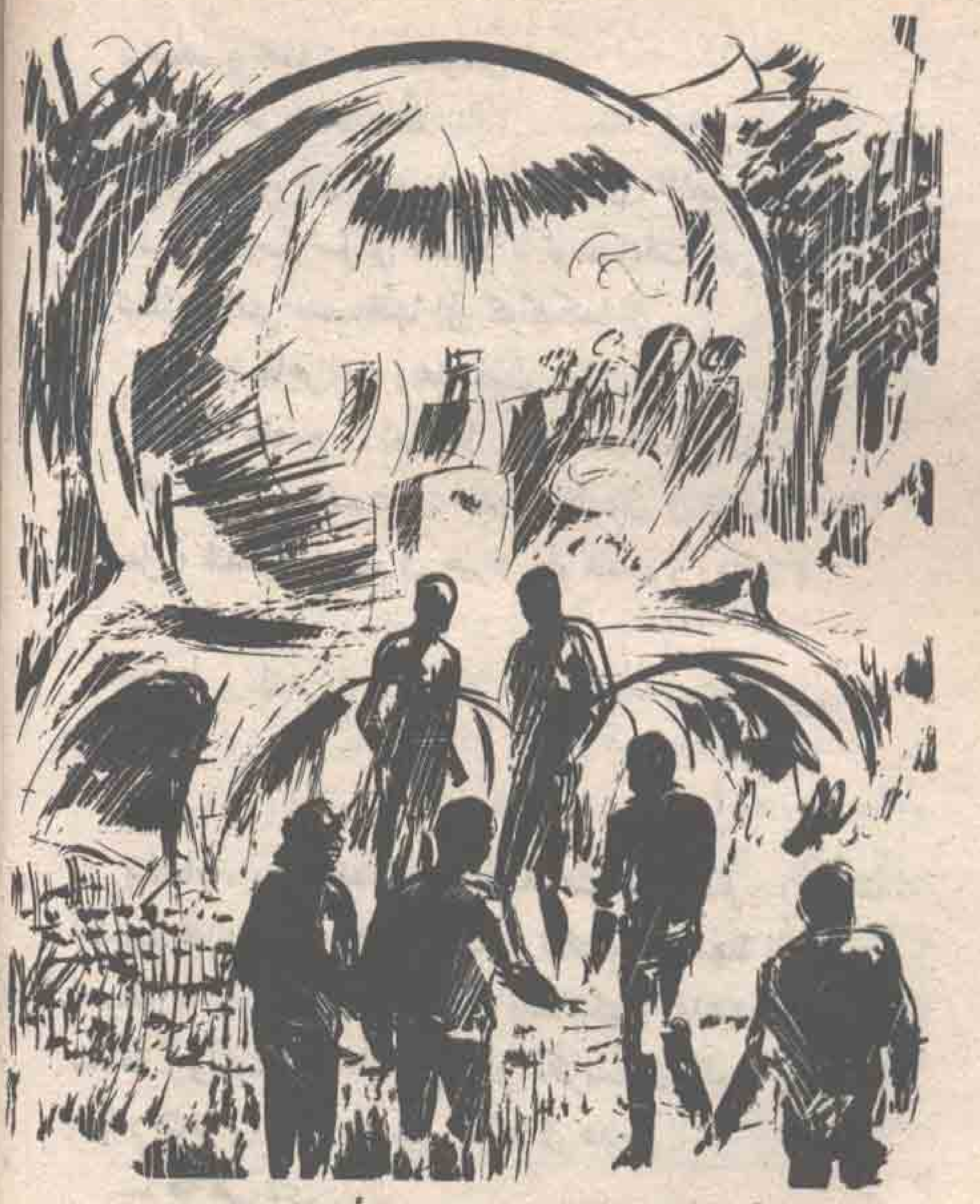
ـ أين ؟!

ضغط (طاهر) زِرًّا صغيرًا فى حزامه ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ هنا .

وفجأة ، وبلا مقدمات .. وبلاصوت أو ضوء ، برزت أمامهم فقاعة زجاجية ضخمة ، تفلطح خمسها السفلى ، لتستقر به على أرض الحديقة ، وبداخلها مقاعد زجاجية شفافة ، وأزرار من الزجاج ، أو الكريستال الملوّن ، وأشار إليها (طاهر) ، وهو يبتسم ، قائلًا فى هدوء :

ـ ها هى ذى .



وفجأة ، وبلا مقدمات .. وبلا صوت أو ضوء ، برزت أمامهم فقاعة زجاجية ضخمة ، تفلطح نصفها السفلى ..

وتبادل مع (سليمان) نظرة ضاحكة ، وهما يتطلّعان إلى علامات الانبهار ، التى ارتسمت على وجوه أفراد الفريق ، ثم قال الأخير فى هدوء :

ـ استعدُّوا أيُّها السَّادة .. الآن تبدأ رحلتكم إلى كوكب المستقبل .. مستقبلكم .

* * *

لو كانت هناك ذرَّة واحدة من الشَّكّ ، باقية فى أعماق (نور) وفريقه ، فقد تلاشت تمامًا بعد ساعة واحدة من بدء الرحلة ، حينما وصلت الفقاعة الزجاجية إلى الكوكب الشبيه بالأرض ، فى قرنها الخامس والثلاثين بعد الميلاد ..

لقد كان أمامهم عالم المستقبل ، بكل ما يحويه من إنجازات علمية وحضارية مبهرة ، ومذهلة ..

البنايات بالغة الضخامة ، تتضاءل إلى جوارها ناطحات السحاب المعروفة ، فى القرن الحادى والعشرين ..

وحداتها طائرة .. متنقِّلة ، يمكن للمرء بواسطتها نقل منزله إلى أية بقعة يشاء من الأرض ..

لا توجد سيَّارات ..

أو طائرات ..

أو حتى صواريخ ..

كل الانتقال يتم بوسيلة الانتقال الآنى المذهلة ..

كل شىء يُدار بالخلايا الحيويَّة ، التى هى الجيل المليون للكمبيوتر الصِّناعِىّ ..

كل شىء مبهر ، مثير ، محيِّر ..

حتى مبنى المخابرات العلمية لم يعد منطقة سِرِّيَّة ..

إنه بناء بالغ الضخامة ، تعلوه لافتة من الليزر الضوئى المجسَّم ، تحمل اسم إدارة المخابرات ..

والتقى الفريق بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فى القرن الخامس والثلاثين ..

كان شابًا تؤكِّد ملامحه أنه لم يتجاوز الثلاثين بعد ، استقبلهم فى حرارة وتَرْحاب ، ودعاهم للجلوس على مقاعد هوائية ناعمة ، تتناسق تمامًا مع شكل الجسم وتضاريسه ، وتبعث فيه شعورًا بالراحة والأمل ، وقدَّم إليهم مشروبًا عجيبًا ، خُيِّل إليهم أنه يوزِّع الرَّاحة والحماس فى كل خلاياهم ، عبر عروقهم ، حتى أن (رمزى) هتف فى انبهار :

ــ ما هذا المشروب ؟

أجابه القائد الأعلى مبتسمًا :

ــ إنه نوع من المنشِّطات الصِّناعيَّة ، لا يؤدِّى إلى أية أضرار أو آثار جانبية على الإطلاق .. اطمئن .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ هل لنا أن نعرف سبب دعوتنا إلى هنا بالضبط ؟

تطلَّع إليه القائد الأعلى فى هدوء ، ثم أجاب :

ــ هل تعلم أنك وفريقك بالنسبة لنا تاريخ أسطورىّ أيها الرائد ؟.. سيدهشك أننا قد أقمنا مُتْحفًا خاصًا لإنجازاتكم ، فى نفس الموضع الذى كانت فيه إدارة المخابرات العلمية قديمًا .

عاد (نور) يسأله فى هدوء :

ــ هل يجيب هذا عن سؤالى ؟

أطلق القائد الأعلى ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ تمامًا كما تقول كتب التاريخ عنك أيها الرائد (نور) .. صارم .. حازم .. جادّ .. شجاع ..

قاطعه (نور) فى هدوء :

ــ وفضولىّ .

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ــ سأخبرك أيها الرائد .. سأخبركم جميعًا .

وبإشارة مبهمة من يده ، تكوَّنت وسطهم صورة هولوجرافية مجسَّمة لرجل طويل القامة ، ممشوق القوام ، واضح القوة والصرامة ، كثيف الشعر ، ناعمه ، أشيب

الفوْدَيْن ، عريض الفك ، ضيّق العينين .. أزرقهما ، أشار إليه القائد الأعلى ، وهو يسأل (رمزى) فى هدوء :

ـ بمَ توحى إليك ملامح هذا الرجل ، يا طبيب الفريق النفسىّ ؟

تطلّع (رمزى) إلى وجه الرجل ، وقال فى هدوء :

ـ إنه رجل قوىّ الشكيمة ، شديد العزيمة ، بالغ الذّكاء ، يميل إلى السّيطرة والغرور ، وهو إما عالم فذّ ، أو قائد عسكرىّ خطير .

غمغم القائد الأعلى :

ـ إنه الأوّل .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وشبّك أصابع كفّيْه أمام وجهه ، وهو يستطرد فى لهجة تشف عن خطورة الأمر :

ـ هذا الرجل أيُّها السّادة هو الدكتور (خالد رضوان) .. أعظم علماء عصرنا ، وأكثرهم علمًا وعبقرية ، كما أكّدت أجهزة الفحص الحيوىّ .. والدكتور (خالد) هذا عالم كيميائى ، وفلكى ، وهندسى فذّ ، وهو الوحيد ، بخلاف قادة حروب الفضاء ، الذى يعرف مواقع الكواكب الشبيهة بكوكب الأرض ، والثغرات الفضائية ، التى تقود إليها .

وصمت لحظة ، وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم عاد يواصل قائلًا :

ـ ولكن الدكتور (خالد) هذا مصاب بعقدة نفسية بالغة الخطورة ، ألا وهى شهوة السيطرة ، ولقد دفعته رغبته الجنونية فى التفوّق إلى إتيان عمل جنونىّ ، وهو الفرار إلى إحدى الكواكب الشبيهة ، التى لم تبلغ درجة تطور كوكبنا بعد ، أو حتى كوكبكم ، ومحاولة استغلال علومه المتطوّرة ، التى اكتسبها من القرن الخامس والثلاثين ، للسيطرة على الكوكب كله ، وهو يخالف كل القوانين التى وضعها مجلس شئون الفضاء الأعلى ، بشأن التعامل مع الكواكب الشبيهة .

وصمت لحظة أخرى ، ثم نهض من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يسير فى أرجاء حجرته ، مردفًا :

ـ إن وضع الكواكب الشبيهة بالغ الحساسيّة والدّقة ، فالانتقال من أحدها إلى الآخر يشبه الانتقال من حقبة زمنية إلى أخرى ، فى تاريخ كوكب الأرض ، فكما أخبركم (طاهر) و (سليمان) ، فالتاريخ يسير على كل منها بوتيرة واحدة ، ولقد أثبتت أبحاثنا أننا على قمة هرم تطوّر الكواكب الشبيهة ، ويليها كوكبكم ، ثم ثمانية وسبعون كوكبًا آخر ، يمرّ كل منها بحقبة زمنية من حقب التاريخ ، الذى درستموه فى مدارسكم والقانون يحظر تمامًا التدخّل فى شئون أو تاريخ أحد هذه

الكواكب ، وإلا اختلّ تاريخه ، واختلّت سلسلة تطوّره ، فلا يصل أبدًا إلى ما نحن عليه .

واكتسب صوته صرامة وحزمًا ، وهو يستطرد :

ــ لهذا ينبغى منع الدكتور (خالد) من العبث بالتاريخ .

سأله (رمّزى) فى اهتمام :

ــ وإلى أى كوكب ذهب الدكتور (خالد) ؟

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، وأجاب :

ــ ماسجّلته أجهزة معمله تشير إلى أربعة كواكب فحسب ، وأربع حقب زمنية ، فى أربع مناطق من العالم .. (روما) فى القرن السادس عشر ، و (أمريكا) فى القرن التاسع عشر ، و (فرنسا) فى القرن العشرين ، ومصر الفرعونية ، فى القرن الثلاثين قبل الميلاد .

غمغمت (سلوى) فى ضيق :

ــ وهل من المفروض أن نبحث عنه فى كل هذه الكواكب والحِقَب ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ــ هذا ما نأمله .

سأله (نور) بغتة :

ــ ولماذا نحن بالذات ؟

ساد الصمت تمامًا بعد سؤال (نور) ، ثم قطعه القائد الأعلى ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إن الدكتور (خالد) بالغ الذكاء ، كما سبق أن أخبرتكم أيها السّادة ، والفريق الذى سيسعى خلفه ، لابد أن يفوقه ذكاءً .

والتفت إلى (نور) ، مستطردًا بابتسامة هادئة :

ــ والتاريخ يؤكّد ، طبقًا لاختبارات أجهزة الدّراسات والفحوص الحيويّة ، أن فريقكم هو الفريق الوحيد ، عبر التاريخ والأجيال ، الذى يمكنه هزيمة الدكتور (خالد رضوان) .

تبادل أفراد الفريق نظرات الدهشة والحَيْرة ، ثم التفت (نور) إلى القائد الأعلى ، وسأله :

ــ وماذا لو أجبنا بالموافقة ؟

تألّقت عينا القائد الأعلى فى ظفر ، وقال فى حماس :

ــ فى هذه الحالة سنعمل بأقصى جهدنا لتأهيلكم للمعركة عبر الكواكب .. وعبر العصور ..

* * *

٤ ـ التأهيل ..

عبر (نور) وفريقه بوَّابة من الكريستال السميك الشفَّاف ، وهم يرتدون تلك الأردية الفِضيَّة ، التى تسلَّموها من إدارة المخابرات العلمية ، للقرن الخامس والثلاثين ، لينتقلوا من غرفة التعقيم إلى معمل الإدارة ، حيث استقبلهم رجل متوسط الطول ، طيب الملامح ، باسم الثغر ، ضيق العينين ، يمتزج لون حدقتيه العسليتين بلون أخضر خفيف ، لم تكد أبصارهم تقع على وجهه ، حتى اتسعت عيونهم فى دهشة ، وهم يهتفون فى آن واحد :

ـ دكتور (محمد حجازى) ؟!

ابتسم الرجل ابتسامة أقرب إلى الخجل ، وهو يقول فى صوت هادئ :

ـ هذا هو اسمى حقًّا ، ولكننى لست ذلك الذى تعرفونه فى القرن الحادى والعشرين ، صحيح أننى نسخة طبق الأصل منه ، ولكننى لست هو .. إننى ، وبكل فخر ، أحد أحفاد أحفاد أحفاده ، عبر أربعة عشر قرنًا من الزمان .

هتف (نور) فى سعادة :

ـ ياللمصادفة !!.. لا يمكنك أن تتصوَّر مدى سعادتى للقائك .

صافحهم الدكتور (حجازى) المستقبل ، وهو يغمغم فى خجل :

ـ إن سعادتى تفوق سعادتكم بالتأكيد أيُّها السَّادة ، فأنا أقرأ تاريخكم فى إعجاب وإكبار ، حتى لقد تمنَّيت يومًا لو عدت إلى الماضى للتمتع بمقابلتكم .

ضحك (محمود) ، وهو يقول :

ـ ها قد ادَّخرنا جهدك ، وأتينا نحن إليك فى المستقبل .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وغمغم :

ـ إنه بالنسبة لى حاضر يا سيِّد (محمود) .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ والآن دعونا نبدأ برنامج تأهيلكم .

سأله (نور) فى اهتمام مماثل :

ـ هل لنا أن نعلم ما برنامج التأهيل هذا بالضبط ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ إنكم ستذهبون إلى أربع حقب مختلفة من التاريخ ، وإلى أربع دول مختلفة ، ونجاحكم فى العثور على الدكتور (خالد) يستلزم معرفتكم بلغات هذه الدول ، فى تلك الحقب المختلفة من التاريخ ، ومعرفة هذا التاريخ أيضًا ، وتعليمكم كل هذا

كان يحتاج فى عصركم إلى شهور ، أمّا بوسائل التعليم المتفوّقة فى القرن الخامس والثلاثين ، فلن يستغرق ذلك أكثر من ساعات ثلاث ، ستجيدون بعدها الحديث بكل هذه اللغات ، كما لو كنتم أحد أبناء تلك الحِقْبة من الزمان ، وتلك الدول بالذات ، وهذا يستلزم تعليمكم الهيروغليفية ، وإيطالية القرن السادس عشر ، وأمريكية القرن التاسع عشر ، وفرنسية القرن العشرين .

سألته (سلوى) :

ـــ من أية حقبة يبدأ بحثنا ؟

مطَّ شفتيه ، وأجاب فى هدوء :

ـــ أكثرها قدمًا .. ستبدءون بالعصور الفِرْعَوْنيَّة .

ثم ابتسم ، وهو يستطرد :

ـــ أمّا الآن ، فسنبدأ ببرنامج التأهيل ..

* * *

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الدكتور (حجازى) المستقبل ، وتنهَّد فى ارتياح ، وهو يواجه أفراد الفريق ، قائلًا :

ـــ ها قد انتهى برنامج تأهيلكم أيها السّادة .. إنكم تجيدون الآن اللغات الأربع إجادة فائقة ، وتعلمون الكثير عن تاريخ الحِقَب الزمنية ، التى ستقومون بزيارتها . بقى أن تعلموا قواعد العمل .

وناول (نور) قرصًا مستديرًا ، وهو يقول :

ـــ بصفتك قائد الفريق ، ستحمل هذا القرص ، الذى سيكفل لك استدعاء مركبة التنقل وقتما تشاء ، وستجدون داخل المركبة كل الثياب ، التى تناسب الحِقَب الزمنية ، التى ستذهبون إليها ، ولن يسمح لكم باستخدام أية أسلحة ، باستثناء مسدَّس (نور) الليزرىّ ، وبحَذَر بالغ ، حتى لا تثيروا ذعر أو دهشة أهل الحِقَب الماضية ، ومن الضرورى ألَّا يعلم أحد من أنتم ، ومن أين أتيتم .

سأله (نور) :

ـــ وماذا علينا أن نفعل ، حينما نجد الدكتور (خالد) ؟

صمت الدكتور (حجازى) المستقبل لحظة، ثم أجاب فى صرامة:

ـــ سنترك لكم الخيار .. إما أن تحضروه إلى هنا أو ....

وصمت لحظة أخرى ، ثم أردف فى حزم :

ـــ أو تقتلوه هناك .

ساد الوجوم بعد تصريحه الأخير ، ثم غمغم (نور) فى حزم وصرامة :

ـــ سنعود به يا دكتور (حجازى) .. سنعود به بإذن الله .

وأكملت (سلوى) فى توتُّر :

ـــ أو نلقى حتفنا .. عبر العصور .

* * *

٥ ـ مصر الأهرامات ..

(مصر) .. عام ألفين وخمسمائة وستة وثمانين .. قبل الميلاد ..

كل شىء هادئ فى (منف) .. صحراء الجيزة الحالية(*) ..

وفجأة .. ووسط رمال الصحراء ، برزت تلك الفقاعة الزجاجية الضخمة ، واستقرَّت على قاعدتها المفلطحة ، وتناثرت الرمال حولها لحظة ، ثم عاد كل شىء إلى هدوئه وسكونه ، وغادر الفقاعة ثلاثة رجال وامرأة ، غمغمت فى توتُّر :

ـ سيمضى وقت طويل ، قبل أن أعتاد أسلوب الانتقال الآنى هذا .

لم يجبها أحد الرجال الثلاثة ، الذين انهمكوا فى تعديل ثيابهم المصريَّة القديمة ، حتى ضحك أحدهم ، وهو يقول :

(*) (منف) = مدينة قديمة ، من أعظم عواصم (مصر الفرعونية) ، معبودها (بتاح) ، امتدت من (أبو رواش) شمالًا ، حتى (اللشت) جنوبًا ، وعلى شاطئ النيل الغربى حتى مشارف (الجيزة) ، وعلى الشاطئ الشرقى حتى (مصر القديمة) ، التى عُرفت قديمًا باسم (خوى عحا) أى (مكان المعركة) .

ـ يبدو لى وكأننا نزمع القيام بمسرحيَّة تاريخية .

كان صاحب هذه العبارة هو (رمزى) ، الذى استطرد بعدها فى مرح :

ـ تُرى هل تتفق الأحوال النفسية لقدماء المصريِّين مع ما درسناه فى كلية الطب ، فى القرن الحادى والعشرين ؟

أجابه (نور) فى جِدِّيَّة :

ـ كلَّا بالطبع .. فهم فى هذا العصر لا يعانون متاعب المواصلات ، أو الضغوط الاقتصادية .

غمغم (محمود) :

ـ مَنْ يَدْرِى ؟

أشار (نور) إلى فريقه ليبتعد ، ثم ضغط القرص المستدير، فاختفت الفقَّاعة فجأة ، وقال :

ـ إننا الآن فى عصر الملك (خوفو) يا رفاق ، ولو أن الدكتور (خالد) هنا ، فهو يختفى حتمًا فى زىّ كاهن ، أو رجل علم ، ولا ريب أنه سيحاول استغلال معارفه وعلومه ، للسيطرة على هذا العصر .

سألته (سلوى) فى توتُّر :

ـ من أين ينبغى أن نبدأ بحثنا ؟



شدّ (نور) على يدها مطمئنًا ، وهو يقول :
ــ سننتظر يا (سلوى) .. سننتظرهم فى هدوء ..

أجابها فى حزم :

ــ من قلب (منف) ، فهو سيختار نقطة انطلاق قويّة ، مادام يسعى لفرض سيطرته على العالم .

هتف (محمود) فجأة :

ــ هناك كوكبة من الفرسان تتقدّم نحونا ، على صهوة الجياد يا رفاق .

التفت الجميع إلى سحابة الغبار ، التى أثارتها حوافر الجياد ، وهتفت (سلوى) فى ذعر :

ــ ماذا نفعل ؟

شدّ (نور) على يدها مطمئنًا ، وهو يقول :

ــ سننتظر يا (سلوى) .. سننتظرهم فى هدوء ، ونتحدّث إليهم بلغتهم .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وانتظر الجميع حتى اقتربت كوكبة الفرسان ، وأحاطت بهم ، وكل فارس يصوّب إليهم رمحه ، وسألهم قائدهم فى صرامة ، بلهجته الهيروغليفية القديمة :

ــ من أنتم ؟ وماذا تفعلون هنا ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وبنفس اللهجة واللغة :

ـ إننا أصدقاء نتنزّه هنا أيها الأخ العظيم .
عقد قائد الفرسان حاجبيه ، وهو يتأمّلهم فى ريبة ، ثم غمغم فى شك :
ـ تتنزّهون ؟!.. أى قول هذا أيُّها المواطن ؟.. كل عباد (بتاح) يتنزهون على ضفاف نيله العظيم ، فكيف تدّعى أنكم قد ولجتم صحراء النار للنزهة ؟
اصطنع (رمزى) ابتسامة مَرِحة ، وهو يقول :
ـ إننا نميل إلى التغيير أيها الأخ العظيم .
هتف القائد فى استنكار :
ـ التغيير ؟!
ومال نحو (رمزى) ، وهو يقول فى صرامة :
ـ هل تحمل الـ(كا) أيها المواطن ؟
تطلّع إليه الجميع فى حَيْرة ، فالـ(كا) فى لغة المصريين القدماء تعنى (الروح) ، ولم يفهم أحدهم ما يعنيه سؤال قائد الفرسان ، فغمغم (نور) فى ضيق :
ـ كل مخلوق حىّ يحمل الـ(كا) فى أعماقه أيها الأخ العظيم .
ارتفع حاجبا القائد ، وهو يهتف :
ـ فى أعماقه ؟!

ثم اكتست ملامحه فجأة بمزيج من الصرامة والغضب ، وهتف فى لهجة قاسية :
ـ خيانة .
وفجأة قفز الفرسان من على جيادهم ، والتفُّوا حول أفراد الفريق ، ورماحهم مشهورة متحفِّزة فى وجوههم ، وهتف (نور) غاضبًا :
ـ ماذا يعنى هذا ؟
أجابه قائد الفرسان فى صرامة :
ـ لقد انكشف أمركم أيها الجواسيس .. إننا ننتظركم منذ زمن طويل ، ولقد أوقعنا بكم أخيرًا .
واكتسب صوته رنة الاحترام والتقدير ، وهو يردف :
ـ لقد كان (أمنحتب) العظيم على حق .
غمغم (محمود) فى ذعر :
ـ (أمنحتب)(*) ؟!
ثم هتف أفراد الفريق فى آن واحد :

(*) (أمنحتب) = من أشهر عباقرة وحكماء العصور الفرعونية ، اشتهر بغزارة علومه وشدة حكمته فى الطب والهندسة والفلك ، انتهى تاريخه على نحو غامض فى العصور القديمة .

ـــ الدكتور (خالد رضوان) ؟!!.. لقد عثرنا عليه .

* * *

استقرّ الملك (خوفو) العظيم فوق عرشه ، المصنوع من الذهب والعاج ، وأشار بعصاه الذهبيَّة فى وقار ، فتقدَّم منه رجل مهيب ، وانحنى أمامه ، وهو يقول فى احترام :

ـــ الخلود والدوام لربيب الآلهة العظيم .

ابتسم (خوفو) ، وهو يقول :

ـــ أيا حكيم مملكة (مصر) العظيمة ، ما الذى تفتقت عنه قريحتك ، بشأن إنجازنا المرتقب ؟

فرَد الحكيم (أمنحتب) أمامه ورقة بردىّ ضخمة ، وأشار إلى الرُّسوم المدوَّنة فوقها ، وهو يقول :

ـــ لقد انتهيت بفضل رعايتك من إنجاز عملى يا مَوْلاى .

تأمَّل (خوفو) الرسوم فى اهتمام وعناية ، ثم ابتسم فى إعجاب وارتياح ، وهو يغمغم :

ـــ رائع أيها الحكيم (أمنحتب) .. فلتباركك الآلهة .

انحنى (أمنحتب) فى ارتياح وسعادة ، فى نفس اللحظة ، التى هتف فيها حاجب البهو الملكى :

ـــ الأمير (خان ـــ حر) :

وبخطوات ثابتة قويَّة واثقة ، عبر قائد الفرسان قاعة البهو الملكى ، حتى صار على قيد أمتار قليلة من العرش ، فانحنى فى احترام ، وهو يقول :

ـــ لقد عثرنا على الجواسيس وأسرناهم يا ملك الملوك .

تألَّقت عينا (أمنحتب) ، وهو يهتف فى لهفة :

ـــ أسرتموهم ؟!.. أين هم ؟

ثم لم يلبث أن انتبه إلى خطإ سؤاله ، فى حضرة الملك ، فالتفت إليه مستطردًا :

ـــ ينبغى للملك الإله أن يراهم أوَّلًا بالطبع .

تجاهله الأمير (خان ـــ حر) ، وهو يعتدل منتصبًا فى شموخ ، ويواجه مليكه قائلًا :

ـــ هل يسمح ملك الملوك بإدخالهم ؟

أشار إليه (خوفو) بالموافقة ، فاستدار الأمير ، وأشار بيده فى صرامة ، فتقدَّم إلى البهو أربعة جنود ، يدفعون (نور) ورفاقه بأسنة رماحهم ، حتى وصلوا إلى حيث يقف الأمير ، الذى قال فى لهجة آمرة :

ـــ انحنوا .. أنتم فى حضرة (خوفو) العظيم .

تردَّد (محمود) و (رمزى) ، وقطَّبت (سلوى) حاجبيها فى غضب ، فى حين أجاب (نور) فى صرامة :

ـ لن ننحنى قبل أن يتحقَّق العدل .

ظهر الغضب على وجه الأمير ، واستلَّ سيفه فى حركة حادَّة ، وهو يقول :

ـ ويل لك !! كيف تجرؤ على ..؟

قاطعه (خوفو) فى هدوء :

ـ رُوَيْدَك أيها الأمير .

ثم التفت إلى (نور) ، يسأله فى رصانة :

ـ أى عدل تنشد يا رجل ؟

هتف (نور) :

ـ إننا مصريُّون ، وعدل (خوفو) العظيم يمنع معاملة مواطنيه بهذا الأسلوب .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (خوفو) فى هدوء :

ـ أنت على حقّ .

ثم استطرد فى حزم :

ـ إذا كنت تحمل الـ (كا) .

مرة أخرى أثارت الكلمة حَيْرة (نور) وفريقه ، فلاذوا بالصَّمْت ، فاعتدل (خوفو) ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الجواسيس وحدهم لا يحملون الـ (كا) .

ثم رفع ذراعه ، وضمّ قبضته ، وهو يردف فى خشونة وصرامة :

ـ والجواسيس هنا نلقيهم طعامًا للتماسيح .. اذهبوا بهم .

وفى حركة سريعة صارمة ، ارتفعت أسنَّة الرماح فى وجوه (نور) وفريقه ، وابتسم الأمير (خان ـ حر) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ نعم يا مولاى .. سنلقيهم للتماسيح المقدَّسة .

* * *



٦ ـــ الموت قبل الميلاد ..

« قفوا .. » .

انطلقت تلك الصيحة الصارمة تدوّى فى المكان .. على نحو أثار ذهول الحاشية الملكية كلها ، وأفقد الملك (خوفو) صوابه ، فهبّ من عرشه ، وصاح فى وجه (نور) غاضبًا :

ــ كيف تجرؤ على توجيه أمر لرجالى أيُّها الجاسوس الوقح ؟

أسرع (نور) ينحنى نصف انحناءة ، وهو يقول :

ــ معذرة يا ملك الملوك ، ولكننى خشيت أن تفقد أقوى سحرة وعرّافى مملكتك ، قبل أن يضعوا خدماتهم تحت قدميك .

عقد الحكيم (أمنحتب) ، الذى يقف فى ركن مظلم ، حاجبيه ، متسائلًا عمّا يعنيه (نور) بقوله ، فى حين غمغم (خوفو) فى دهشة واستنكار :

ــ ماذا ؟!

ثم استطرد فى سخط :

ــ هل تجرؤ فتدّعى أنك أنت وهذين الرجلين والمرأة ، أقوى سحرة وعرّافى مملكتى ؟

عاد (نور) ينحنى نصف انحناءة ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ هل يسمح مولاى برؤية قدراتنا المتواضعة أوّلًا ، قبل أن يصدر أمره بشأننا ؟

غمغمت (سلوى) فى توتُّر وحَيْرة :

ــ ماذا يحاول (نور) أن يفعل ؟

أجابها (محمود) فى همْس :

ــ لست أدرى .. إنها مخاطرة جنونيَّة .

أمّا (رمزى) فقد لبث ساكنًا مترقِّبًا ، حتى سمع (خوفو) يقول ، بعد بُرْهة من التفكير :

ــ نعم .. إننى أسمح لكم .

ثم استطرد فى صرامة :

ــ ولكننى سألقى بكم للتماسيح المقدّسة ، إذا ثبت أنكم مخادعون .

ابتسم (نور) فى دهاء ، وهو يقول :

ــ إننا نقبل هذا بنفوس راضية يا مولاى .

وأشار إلى صدره مستطردًا فى لهجة بدت لرفاقه ساخرة :

ــ أنا (نور ــ دين) .. أعظم عرّاف فى العالم ، والمرأة هى زوجتى ، وهذا (را ــ مزى) أعظم سحرة العصر .. والشاب الآخر هو معاونه .

عقد (خوفو) حاجبيه فى شك ، وهو يغمغم :

ــ وماذا لديك يا عرّاف ؟

مسّ (نور) جبهته بأنامله ، وأغلق عينيه على نحو أشبه بما يحدث على المسارح الهزلية ، وهو يلوّح بكفه الأخرى قائلاً فى عمق :

ــ دعنى أرى يا مولاى .. دعنى أرى مستقبل حكمك ودولتك العظيمة .. إننى أرى بناءً .. بناءً شامخًا .. بناءً يحمل عظمة مولاى إلى كل الأجيال من بعده .

ازداد انعقاد حاجبى (أمنحتب) ، فى حين بدا الاهتمام على وجه (خوفو) ، وهو يسأل (نور) :

ــ أى بناء هذا ؟.. ما شكله ؟

غمغم (نور) فى أسلوب مسرحى :

ــ هرم يا مولاى .. هرم ضخم من الحجـــر الجيرى والجرانيت .. هرم وضع تصميمه الحكيم (أمنحتب) ، ويسبغ عليه مولاى عطفه ورعايته .

هتف (خوفو) فى انبهار :

ــ وا (بتاح) ؟!.. هل سيكتمل هذا البناء أيها العرّاف ؟

صاح الأمير (خان ــ حر) فجأة :

ــ إنها لخدعة يا مولاى .. لقد تسرّب سرُّ هرمك العظيم على نحو أو آخر .. إن هذا الجاسوس يحاول خِداعنا .

عادت علامات الشكّ إلى وجه (خوفو) ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. ربّما .

التفت (نور) إلى الأمير ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إذن فالأمير لا يصدّق أننى أرى الغيب .

استلّ (خان ــ حر) سيفه ، وهو يقول فى حِدّة :

ــ إننى لا أومن سوى بهذا .

اتخذ (نور) وقفة قتالية بصورة غريزية ، وهو يقول فى حِدّة مماثلة :

ــ هل تحب أن تختبره ؟

صاح (خوفو) فى صرامة :

ــ كفى .. أنا صاحب الأمر هنا .

زمجر (خان ــ حر) فى غضب ، وأعاد سيفه إلى غمده فى عصبية واضحة ، فى حين استطرد (خوفو) بلهجة آمرة :

ـــ دع الساحر يعرض مهارته أوَّلًا .

ارتبك (رمزى) ، وتطلَّع إلى (نور) فى توتُّر وحَيْرة ، فابتسم (نور) ، وهو يقول بالعربية :

ـــ التنويم المغناطيسى يا عزيزى (رمزى) .. إنه لم يكشف بعد فى هذا العصر .

غمغم (رمزى) فى توتُّر :

ـــ التنويم المغناطيسى ؟!

وفى هدوء التفت (نور) إلى (خوفو) ، وقال :

ـــ معذرة يا ملك الملوك .. لقد كنت أحادث زميلى بلغة السِّحر .

ثم أشار إلى أضخم الحرَّاس حجمًا .. مردفًا :

ـــ إن هذا هو أقوى حرَّاسك يا ملك الملوك ، وربَّما كان أشجعهم ، ولكن سحر زميلى سيحوِّله إلى أرنب جبان .

زمجر الحارس الضخم فى غضب ، فى حين حكَّ (خوفو) ذقنه بسبَّابته ، وهو يغمغم :

ـــ حسنًا .. دعنا نرى ذلك .

زمجر الحارس مرَّة أخرى ، فى حين ابتسم (نور) ، وهو يقول لـ (رمزى) :

ـــ هيَّا يا (را ـــ مزى) .. قم بعملك .

تنحنح (رمزى) ؛ ليلقى عن نفسه توتُّرها ، ثم شدَّ قامته ، واتجه فى هدوء إلى حيث يقف الحارس العملاق ، الذى بدا مهتاجًا ، متحفِّزًا للقتال ، وهو يتوقَّع أن يبادره (رمزى) بالهجوم ، ولكن (رمزى) اكتفى بالتطلُّع إلى عينَي الحارس فى صرامة ، وهو يسأله بصوت عميق :

ـــ ما اسمك ؟

زمجر الحارس فى شراسة ، إلَّا أن عينَيْ (رمزى) بدتا له وكأنهما تزدادان اتساعًا وعمقًا ، وتتحوَّلان إلى بحر لا قرار له ، وسمع صوته يدوِّى فى أذنيه هادرًا ، متكرِّرًا كالصَّدَى ، وهو يسأله مرة أخرى فى صرامة :

ـــ ما اسمك ؟

ارتجفت خلجات الحارس ، واتسعت عيناه فى ضياع وشرود ، وهو يغمغم :

ـــ اسمى .. اسمى (وان ـــ كو) .

خُيِّل للجميع أن بريقًا خافتًا ينبعث من عينى (رمزى) ، وهو يقول بصوته العميق :

ـــ أنت جبان يا (وان ـــ كو) .. جبان .. ترتعد خوفًا أمامى .

ولدهشة الجميع بدأ (وان ــ كو) يرتعد بالفعل ، وارتسم الخوف على وجهـه ، وشحب وجهـه ، فى حين واصل (رمزى) حديثه العميق ، قائلًا :

ــ انحن يا (وان ــ كو) .. انحن وتوسَّل إلىَّ ؛ لأبقى على حياتك .. اركع على ركبتيك يا (وان ــ كو) .

جثا (وان ــ كو) على ركبتيه ، وبدا صوته مرتجفًا ، أقرب إلى البكاء ، وهو يهتف فى ضراعة :

ــ الرَّحمة !! الرحمة !!

اتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وابتسمت (سلوى) فى ظفر ، فى حين هتف (خوفو) :

ــ رائع !!

ثم التفت إلى (أمنحتب) ، الذى مازال يقف فى ركنه المنزوى ، وسأله فى انفعال :

ــ ما رأيك يا حكيم المملكة ؟

التفت الجميع الى حيث يقف (أمنحتب) ، وحاول (نور) ورفاقه اختراق حجب الظلام ، ليتطلَّعوا إلى وجه (أمنحتب) ، الذى حرص على أن يبقى وجهه فى الظلام ، وصمت طويلًا ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ هكذا تتحقَّق النبوءة .. سيأتى إلى البلاد جواسيس غرباء ، يمتلكون قدرات مخيفة عجيبة ، وسيقوِّض قدومهم أركان مملكة (خوفو) العظيم ، ما لم ....

صمت لحظة ، ثم أردف فى قسوة وصرامة :

ــ ما لم يُقْتَلوا ؟

لم يكد ينطق بعبارته الأخيرة حتى استلَّ (خان ــ حر) سيفه ، وصاح فى شراسة :

ــ هذا هو العدل .. عدل (خوفو) العظيم .

وفى حركة عصبيَّة سريعة ، هوى نصل سيفه على عنق (نور) ..

* * *



لم يكد ينطق بعبارته الأخيرة حتى استلَّ (خان ــ حر) سيفه ،
وصاح فى شراسة : ــ هذا هو العدل .

٧ ــ صراع الزمن ..

لا أحد يمكنه أن ينكر أن جند (مصر) هم خير الأجناد .. ولقد كان الأمير (خان ــ حر) مصريًّا ..

وكذلك (نور) ..

وهنا فقط يتجلَّى أثر الزمن والتطوُّر ، فى أساليب القتال ..

لقد كان نصل سيف (خان ــ حر) يتجه نحو عنق (نور) فى قوَّة وسرعة ، حتى أن (محمود) و (رمزى) قد تراجعا فى ذُعر ، وأطلقت (سلوى) صرخة يأس وفزَع ، ولكن (نور) تحرَّك ..

تحرَّك فى سرعة ، ومرونة ، ومهارة ، وخِفَّة ، فانحنى متفاديًا نصل السيف ، وسمع صوته وهو يشقّ الهواء ، فوق رأسه مباشرةً ، ثم مال يسارًا ، وانتصب ليلكم (خان ــ حر) فى فكّه لكمة قويَّة ، ثم يُعْقِبُ ذلك بأخرى فى معدته ، وثالثة من حافة راحته على معصمه ، فأطار سيفه إلى آخر القاعة ، وابتعد عنه بحركة سريعة ، وهو يقول فى سخرية :

— ما رأيك أيها الأمير .. أما زلت لا تثق إلّا فى سيفك؟
تفجرَت صواعق الغضب فى وجه (خان — حر) ، وتحرَّك جنوده للفتك بـ (نور) ورفاقه ، ولكنه هتف بهم :
— كلَّا .. إنه لى وحدِى .
ثم انحنى أمام (خوفو) ، وهو يقول فى غضب مكتوم :
— هل يسمح لى (خوفو) العظيم بتأديب هذا الجاسوس الحقير؟
أشار إليه (خوفو) بالموافقة ، واستند بوجنته على قبضته المضمومة ، يراقب الأمر فى اهتمام ، فى حين التفت (خان — حر) إلى (نور) ، وضغط أسنانه ، وهو يقول فى غضب وصرامة :
— سنقاتل أيها الجاسوس .. سنقاتل حتى الموت .
وبإشارة من يده ألقى أحد رجاله خنجرًا إلى (نور) ، واستلَّ هو خنجره ، وأسرع الرجال يحيطونهما فى نصف دائرة ، فى حين قال (خان — حر) فى حِدَّة :
— الخنجر هو وسيلة القتال الوحيدة أيها الجاسوس ، ومن يفقد خنجره أوَّلًا .. يُقتل .
ثم انقضَّ على (نور) بغتة ، وهوَى بخنجره على موضع القلب فى صدره ..

* * *

قتال على الطريقة الفرعونية ..
قتال يحتاج إلى مرونة ، وشجاعة ، وقوَّة ، وجُرأة ..
وكل من المتصارعين يمتلك كل هذه الصفات ..
لقد هوَى خنجر (خان — حر) على صدر (نور) فى قوَّة وسُرْعة ، ولكن (نور) تلقَّاه على نصل خنجره ، ودفعه بعيدًا ، ومال جانبًا فى سرعة ، وقفز عاليًا ، وركل (خان — حر) فى وجهه ركلة قويَّة ، ألقت هذا الأخير أرضًا ، ولكنه عاد يقف على قدميه فى مرونة ، وانقضَّ على (نور) ..
كان الأمير (خان — حر) قويًا ، شجاعًا ، عنيدًا ، باسلًا ..
ولكن (نور) كان مؤهَّلًا ..
كان يجيد كل الأساليب القتاليَّة والدفاعيَّة المتطوِّرة ، التى أنجبتها علوم عصره ..
كان الصراع صراعًا زمنيًّا ..
وفى مهارة تفادى (نور) انقضاضة (خان — حر) ، ودار على أطراف أصابع قدمه اليمنى كلاعبى باليه ، واندفعت قدمه اليسرى تركل (خان — حر) فى معدته ، وصدره ، وعنقه ووجهه ، بركلات قويَّة متتابعة ، قبل أن يقفز (نور)

فى الهواء ، ويدور حول نفسه دوْرة رائعة ، ركل خلالها (خان ـــ حر) فى جانب وجهه ، فألقى به أرضًا ..

وقبل أن يستعيد (خان ـــ حر) توازنه هذه المرَّة ، انتزع (نور) خنجره من قبضته ، ولوَّح به فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ ماذا كنت تقول عمَّن يفقد خنجره أوَّلًا أيُّها الأمير ؟

هبَّ (خوفـــو) من عرشه فى غضب ، وأشار بعصاه الملكية ، وهو يهتف بحرَّاسه :

ـــ اقتلوهم .. اقتلوهم جميعًا ..

واندفع الحرَّاس نحو (نور) ورفاقه ، وأسنَّة رماحهم تحمل الموت ..

الموت الأحمر الدموىّ ..

* * *

كانوا اثنى عشر حارسًا ، يحملون السيوف والرماح ..

وقائدهم (خان ـــ حر) ..

وأبطالنا الأربعة ..

وتفادى (رمزى) نصل رمح ، ولكم صاحبه بين عينيه ، فألقى به بعيدًا ، وقفز (محمود) مبتعدًا عن نصل آخر ، وصرخت (سلوى) ، وهى تحاول الفرار من ثالث ..

وفجأة حدث ما لم تسجِّله النقوش الفرعونية أبدًا ..

انتزع (نور) مسدَّسه الليزرىّ ، وأطلق أشعته وسط البهو الملكى ، وهو يصيح فى صرامة :

ـــ كفَى ..

تسمَّر الجميع مبهورين ، مشدوهين ، مذهولين ، أمام تلك الظاهرة ، التى تفوق أبشع ما راودهم فى كوابيسهم ومخاوفهم ، وهبَّ (خوفو) من عرشه ، وهو يهتف فى ذُعْر :

ـــ الرحمة يا (بتاح) !! رحماك أيها الإله العظيم !!

أطلق (نور) أشعة مسدَّسه الليزرىّ على نصل رمح ، وارتجف الجميع حينما ذاب الرمح تحت تأثير الأشعة القاتلة ، وصاح (نور) :

ـــ سيحدث هذا لأوَّل من يتحرَّك منكم .

ثم قفز إلى حيث انتصب العرش الملكى ، وأمسك بتلابيب (أمنحتب) ، وجذبه فى عنف إلى دائرة الضوء ، وهو يقول :

ـــ اخرج إلى الضوء يا حكيم المملكة .. إننا نتشوَّق لرؤية وجهك .

سقط الضوء على وجه (أمنحتب) ، واستبانت ملامحه للجميع ، فهتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى !!

واحتقن وجه (رمزى) وهو يهتف :

ـ ولكنّه .. ولكنّه ..

أكمل (محمود) صائحًا :

ـ ولكنه ليس الدكتور (خالد) .

جذب (نور) (أمنحتب) فى قسوة ، وألصق فوهة مسدّسه الليزرىّ بصدغه ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ مَنْ صاحب النبوءة إذن ؟.. من أخبرك بقدومنا ، وجعلك تحذّر الملك منّا ؟

هتف (أمنحتب) فى ذعر :

ـ إنه الكاهن .. الكاهن الأعظم (هاى ـ مون) .

سأله (نور) فى خشونة :

ـ وكيف علم بقدومنا ؟

ارتجف (أمنحتب) ، وهو يقول :

ـ (هاى ـ مون) يعلم كل شىء .. إنه أعظم كهنة العالم .. إنه هو الذى .. هو الذى وضع تخطيط الـ .. الهرم .. هو الذى يملك وحده ذلك الضوء القاتل ، الذى تملكونه ..

لم يكن الأمر يحتاج إلى كثير من الذكاء ؛ ليدرك الجميع أن

(هاى ـ مون) هذا هو نفسه الدكتور (خالد رضوان) ، الذى يبحثون عنه ؛ لذا فقد سأل (نور) (أمنحتب) فى انفعال :

ـ وأين هو ؟.. أين نجد كاهنكم الأعظم هذا ؟

دوّى فجأة ، من وسط البهو تمامًا ، صوت صارم ساخر قوىّ ، يقول فى هدوء :

ـ هُنا .. هُنا أيُّها الرائد (نور) .

باسل
Www.dvd4arab.com

* * *



٨ ــ الفرار إلى الزمن الآخر ..

كان الصوت يدوِّى فى وسط القاعة تمامًا ، ولكن صاحبه ظهر فجأة ، كأنما قد برز من العدم ، فى ركن القاعة البعيد ..

وكان هو ..

كان الدكتور (خالد رضوان) ..

واتسعت عيون حرّاس (خوفو) فى ذعر وذهول ، وتراجعوا فى رعب ..

وهتف الأمير (خان ــ حر) :

ــ يا لـ(ست) !! إله الشر !!

أمّا (خوفو) فقد سقط على عرشه ذاهلًا ، فى حين هتف (أمنحتب) فى صوت مرتجف :

ــ الكاهن (هاى ــ مون) ؟!

وأدار (نور) فوهة مسدّسه الليزرىّ نحو الدكتور (خالد) ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ انتهت المطاردة يا رجل المستقبل .

أطلق الدكتور (خالد) ضحكة ساخرة عالية ، وضغط زرًّا صغيرًا فى حزامه ، فاختفى فجأة ، وعاد يظهر فى الركن الآخر من الحجرة ، وهو يقول متهكّمًا :

ــ لا تركن إلى سرعتك فى إطلاق أشعتك يا رائد القرن الحادى والعشرين ، فلن تفوق أبدًا سرعة الانتقال الآنىّ لرجل جاء من القرن الخامس والثلاثين .

أدار (نور) فوّهة مسدّسه الليزرىّ نحوه ، وأطلق أشعته ، ولكن الأشعة أصابت الفراغ ، الذى تركه الرجل خلفه ، حينما اختفى فجأة ، وعاد يبرز خلف (نور) تمامًا ، وهو يقول ساخرًا :

ــ أخطأت .

التفت إليه (نور) بأقصى مايملك من سرعة ، ولكن الرجل اختفى مرّة أخرى ، وتردَّد صوته الساخر فى القاعة ، دون أن يبدو له أثر ، وهو يقول :

ــ لا فائدة يا رائد القرن الحادى والعشرين .. لن تنتصر أبدًا .

تلفّت (نور) ورفاقه حولهم فى حَيْرة ، ثم صاح (نور) بـ(محمود) :

ــ ما رأيك ؟

أجابه (محمود) فى انفعال :

ــ الانتقال الآنى عملية حيويّة إشعاعية يا (نور) ، ولا يمكن للجسم المنقول بواسطتها أن ينفذ عبْرَ مادّة صُلْبة .

تألّقت عينا (نور) ، وهو يقول :

ــ فهمت ..

ثم صاح فى لهجة آمرة صارمة :

ــ أغلقوا الأبواب والنوافذ .. كلها .. على الفور .

أسرع الحرّاس المذعورون ينفذون الأمر ؛ فى حين ظهر الدكتور (خالد) فجأة فى منتصف القاعة ، وهو يقول فى غضب :

ــ محاولة سخيفة أيها الرائد ، فالانتقال الآنىّ ليس سلاحى الوحيد .

أجابه (نور) فى سخرية :

ــ ولكنك ستفقده على الأقل .. إننى سأدور حول نفسى فى سرعة ، وسأطلق أشعتى فى كل الاتجاهات ، ولن تجد ركنًا واحدًا تختبئ فيه .

انعقد حاجبا الدكتور (خالد) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أيها الحقير .

ثم رفع راحته المفرودة فجأة فى وجه (نور) ، فتألّقت أصابعه ببريق فيروزىّ ، وانطلقت منها كتلة من النيران نحو (نور) ، الذى قفز متفاديًا إيّاها فى سرعة ، وأطلق أشعة مسدّسه الليزرىّ نحو اليد المفرودة ، وسمع الجميع صوت (خالد) وهو يصرخ فى ألم ، قبل أن يختفى من موضعه ، ثم ظهر فجأة خلف رفاق (نور) ، وهو يقول فى وحشية :

ــ لن تنتصر أبدًا أيُّها الرائد .

صاح (نور) برفاقه :

ــ ابتعدوا .

ولدهشة (خالد) ، أطاع (رمزى) و (محمود) و (سلوى) الأمر فى سرعة مذهلة ، وأفسحوا الطريق ما بين (نور) والدكتور (خالد) ، الذى غمرته الدهشة لثانية واحدة ، كانت تكفى (نور) ليطلق نحوه أشعة مسدّسه الليزرىّ ، ويصيب هدفه ..

وسقط نطاق الدكتور (خالد) ، الذى يكفل له القدرة على الانتقال الآنىّ ، واتسعت عيناه فى دهشة وسخط ، وهو يسأل (نور) فى عصبيّة :

ــ لماذا لم تقتلنى ؟



وأفسحوا الطريق ما بين (نور) والدكتور (خالد) ، الذى غمرته الدهشة لثانية واحدة ..

أجابه (نور) فى سخرية :

ـ يروق لى أن أعود بك حيًا .

وابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ يبدو أن مهمتنا قد انتهت بأسرع مما نتصوَّر يا رفاق .

وفجأة ، وبحركة حادَّة سريعة ، قفز (خالـد) نحو (سلوى) ، وأحاط عنقها بساعده الأيسر فى قسْوَة ، وفرد راحته فى وجهها ، فتألَّقت أصابعه بذلك البريق الفيروزىّ ، وصاح (نور) فى جزع :

ـ كلَّا .

أطلق الدكتور (خالد) ضحكة شديدة السخرية والشَّراسة ، وهو يقول :

ـ لقد خسرت معركتك أيها الرائد .. إننى سأقتل زوجتك إذا ما بدرت منك حركة واحدة .

امتلأ وجه (نور) بغضب هادر ، وهو يلوِّح بمسدَّسه الليزرىّ ، قائلًا فى حِدَّة :

ـ حَذارِ أن تمسَّ شعرة واحدة منها وإلَّا ..

قاطعته ضحكة ساخرة من بين شفتى الدكتور (خالد) ، قبل أن يقول :

ـ وإلا ماذا أيها الرائد ؟.. إنك عنيد حقًا ، كما تقول عنك كتب التاريخ .. عنيد إلى درجة الموت .. إنَّ القتال معك يروق لى بالفعل .

وفجأة ظهرت فقاعته الزجاجية فى وسط البهو ، خلفه تمامًا ، وأخذ يتراجع نحو بابها المفتوح ، وهو يجذب (سلوى) معه ، مستطردًا :

ـ ولكنك أفسدت مهمتى هنا ، إلا أن قتالنا لم ينته بعد .. إننى سأنتظرك فى (روما).. بعد ستة وأربعين قرنًا من الآن.. إلى اللقاء أيها الرائد .. إلى اللقاء .. الحرب بيننا لم تنته بعد .

اندفع (نور) ، و (رمزى) ، و (محمود) نحوه فى آن واحد ، وكل منهم يحاول انتزاع (سلوى) من قبضته ، إلا أنه قفز بها إلى داخل الفقاعة ، التى أغلقت خلفه ، وبدا هو وكأنه يطلق ضحكة ساخرة ، دون أن يخترق صوتها جدران الفقاعة الزجاجيَّة ، التى اختفت فجأة .. قبل أن يصل إليها أىٌّ من أبطالنا الثلاثة ..

لقد ضاعت (سلوى) ..

ضاعت فى مَجْرَى الزَّمن ..

* * *

شحُب وجه (نور) ، وامتقع ، وهو يغمغم فى لوعة وذُعر ، وجزع وأسَى :

ـ ربَّاه !!.. (سلوى) !..

هتف به (رمزى) ، وقد تجاهل وجودهم فى بهو (خوفو) ، وتحت أنظاره وأنظار رجاله :

ـ لم يفت الوقت بعد يا (نور) .. هيَّا نلحق به .

وصاح (محمود) فى انفعال :

ـ لقد أصبحت معركتنا معه شخصيَّة .

امتلأت ملامح (نور) بالغضب والحماس ، وصاح فى سخط هائل :

ـ نعم .. إنها معركة شخصيَّة .

وضغط القرص المستدير الصغير ، فظهرت فقاعتهم الزجاجيَّة وسط القاعة ، وقفزوا إليها ، ثم هتف (محمود) :

ـ (روما) يا (نور) .. (روما) عام ألف وخمسمائة بعد الميلاد .

ضغط (نور) أزرار القيادة ، وهو يهتف :

ـ فلينتقل القتال إلى (روما) .

واختفت الفقاعة الزجاجيَّة ، لتبدأ رحلتها عبر الفضاء والزمن ..

وران صمت مخيف رهيب على بهو الملك (خوفو) الملكىَ ..

صمت طويل ، استغرق دقيقتين كاملتين ، قبل أن يغمغم (أمنحتب) فى صوت لم يفارقه الذُّهول بعد :

— أى سحر هذا ؟

انتفض (خوفو) ، وكأنما أفاق من ذهوله ، وصاح فى صرامة :

— إنه وهم ياحكيم المملكة .. وهم عشناه جميعًا .

هتف الأمير (خان — حر) فى دهشة :

— وهم ؟!.. ولكننا رأيناهم يامولاى و ....

قاطعه (خوفو) فى حزم غاضب :

— أنا لم أر شيئًا .. هل منكم من رأى مالم يره الملك ؟

أطرق (خان — حر) برأسه ، وهو يغمغم فى خشوع :

— محال يامولاى .. لا أحد يمكنه أن يرى مالم تره عين الملك الأوحد العظيم .

أومأ (خوفو) برأسه موافقا ، ثم قال فى صرامة :

— ولكن لو انتقل ذلك الحدث إلى عامة الشعب ، فسيعنى هذا أن أحد الموجودين هنا قد رأى مالم يره الملك ،

وسيجبرنى هذا على إعدام الجميع ، بلا تمييز أو استثناء .. هل فهمتم ؟

ارتجفوا ، وهم يجيبون فى خضوع :

— فهمنا يامولاى .

تنهَّد (خوفو) فى ارتياح ، ثم التفت إلى (أمنحتب) ، يسأله فى هدوء ووقار ، وكأنما مُحِىَ مِنْ ذاكرته كل ما حدث فى الساعة السابقة :

— والآن ياعزيزى (أمنحتب) ، متى يبدأ العمل فى بناء هرم (خوفو) ؟

* * *



٩ — (روما) الفرسان ..

(روما) .. فى اليوم الأخير من القرن الخامس عشر بعد الميلاد ..

المرح يسود كل ركن بالمدينة العظيمة ، والزينات تملأ كل منازلها وشوارعها ، احتفالًا بأعياد الميلاد ..

صخب هائل فى كل مكان وكل لحظة ..

النساء بثيابهن المزركشة ، والرجال يمتشقون سيوفهم فى فخر وزهو ، والفرسان بدروعهم اللامعة الثقيلة ..

حتى الجياد مزدانة مزركشة ..

ووسط كل هذا الخضمّ من المرح والاحتفالات ، شقَّت عربة أنيقة ، تجرها أربعة جياد فى لون الليل الملبَّد بالغيوم ، جموع المحتفلين ، حتى توقَّفت أمام قصر مهيب ، وهبط منها الدكتور (خالد رضوان) ، بقامته الممشوقة ، وملامحه الوسيمة الصارمة ، وهو يرتدى زيًّا أنيقًا ، بالقياس إلى أزياء ذلك العصر ، واستقبله سيِّد القصر فى ترْحاب ، وهو يهتف فى حرارة :

— ياصديقى (ليوناردو) .. كم يسعدنى قبولك دعوتى !!

ابتسم الدكتور (خالد) ، وهو يقول .

— من ذا الذى يرفض تلبية دعوة صديق كريم مثلك يادون (فيبوناتشى) ؟

ربَّت الرجل على كتفه فى حرارة ، وهو يقول فى مرح :

— يمكنك أن تدعونى (فيو) فقط ياعزيزى (ليوناردو) كما يدعونى الأصدقاء .

انحنى) خالد) فى توقير ، وهو يغمغم فى خبث :

— هذا كرم بالغ منك يادون (فيبو) .

ابتسم (فيبو) فى ارتياح ، وهتف فى سعادة :

— إن لك شخصية ساحرة ياعزيزى (ليوناردو) .. إننا لم نتعارف إلَّا منذ يومين فحسب ، وعلى الرغم من ذلك أشعر وكأنك أعز أصدقائى .

عاد (خالد) يغمغم فى خبث :

— هذا شرف لى يادون (فيبو) .

ربَّت (فيبو) على كتفه فى مرح ، وهو يقول :

— حسنًا ياعزيزى (ليوناردو) .. اختلطْ بالمدعوِّين ، وسنلتقى على مائدة العشاء .

اتجه (خالد) إلى حيث يتبادل المدعوون الأحاديث ، وهو يغمغم فى سخرية :

ـــ يا للأغبياء !.. إنهم لا يتصوّرون أننى سأصبح سيّدهم يومًا ما .

كان يتحدّث بصوت بالغ الخفوت ، إلّا أنه فوجئ بصوت ساخر يجيبه :

ـــ من العسير أن تؤكد ذلك يا دكتور (خالد) .

التفت الدكتور (خالد) فى حركة حادّة إلى مصدر الصّوت ، وضاقت عيناه فى استنكار وغضب ، وهو يحدّق فى وجه (نور) ، الذى ابتسم فى هدوء وسخرية ، وهو يرتدى زيًّا يناسب العصر والمكان ، وغمغم الدكتور (خالد) فى شراسة :

ـــ كيف جئت إلى هنا ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ تمامًا مثلما جئت أنت يا عزيزى (ليوناردو) .. لقد كنت واثقًا من أنك ستتخذ أحد بلاطين ، حينما تهبط فى (روما) .. البلاط الملكى ، أو بلاط الوزير (فيبو ناتشى) ، فهما أقوى رجلَيْن فى (روما) هذا العصر .. وأنت تسعى

للقوّة والسّيطرة ، وكان من السهل أن أعلم إلى أى بلاط انتميت ، فجئت لألقاك .

زمجر (خالد) ، وهو يقول فى صوت خافت ، محاذرًا أن يصل صوته إلى المدعوّين :

ـــ ماذا تريد منّى أيّها الرائد ؟

عقد (نور) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ زوجتى أيها الوغد .. ثم أنت .

عربد الغضب فى وجه (خالد) ، ولكنه كتمه فى أعماقه ، وحافظ على هدوء صوته ، وهو يقول :

ـــ اسمع أيها الرائد .

قاطعه (نور) فى برود :

ـــ اسمى البارون (نوردان) فى هذا العصر أيها الوغد .

عضّ (خالد) شفتيه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. اسمع أيها البارون (نوردان) .. إنك رجل مخابرات علمية ، وتاريخك مجيد حتى النهاية ، وأنت تعلم أنه من العسير أن تنتصر على علم يفوق علمك بأربعة عشر قرنًا ، فلم لا أعطيك زوجتك ، وتعود إلى عصرك ، وتتركنى أواصل خططى هنا ؟

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أين (سلوى) ؟

أجابه فى حِدَّة :

ــ إننى أحتفظ بها رهينة ، حتى أوقن من ابتعادك عن طريقى .

وفجأة انتزع (نور) مسدَّسه الليزرىّ ، وألصق فوَّهته بمعدة (خالد) ، وهو يكرِّر سؤاله فى مزيج مخيف من الغضب والصرامة :

ــ أين هى ؟.

ابتسم الدكتور (خالد) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ هل ستقتلنى هنا أمام الجميع ؟.. أراهنك أنك لن تفعل ، فلو فعلت فستفقد السبيل الوحيد للعثور على زوجتك .. ستفقدها إلى الأبد .

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ ما قولك لو أخبرتك أننى مستعد للتضحية بكل شىء ، فى سبيل القضاء عليك ؟

أجابه الدكتور (خالد) فى صرامة :

ــ أقول إنك مخادع .



وفجأة انتزع (نور) مسدَّسه الليزرىّ ، وألصق فوَّهته بمعدة (خالد) ، وهو يكرِّر سؤاله فى مزيج من الغضب والصرامة ..

ثم أمسك مسدس (نور) الليزرىّ ، وأبعده عن معدته ، وهو يستطرد فى حزم :

— إنك لن تضحّىَ بزوجتك ، قبل أن تفقد كل أمل فى استعادتها .

وفجأة تألّقت أصابع الدكتور (خالد) بذلك البريق الفيروزىّ ، وشعر (نور) بمسدّسه الليــــزرىّ يلتهب فى قبضته ، فتركه بحركة حادّة ، ورآه يسقط أرضًا ذائبًا ، محترقًا ، فى نفس الوقت الذى أطلق فيه (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول بصوته الخافت :

— هل رأيت كم تبدو لك علوم القرن الخامس والثلاثين كالسحر يا فتى ؟.. ها قد انتزعت منك سلاحك المتطوّر الوحيد يا رائد القرن الحادى والعشرين .

اندفعت يد (نور) فجأة ، تنتزع النطاق الذهبىّ ، الذى يحيط به (خالد) خصره ، وألقته أرضًا ، ثم اندفعت قبضة (نور) تهشّمه تهشيمًا ، وهو يقول فى سخرية مماثلة :

— أظن أنك قد فقدت آخر أسلحتك أيضًا يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

زمجر (خالد) ، وهو يقول فى غضب هادر :

— لن تعلم أين زوجتك أبدًا أيها الرائد .. لقد خسرتها بحماقتك .. خسرتها إلى الأبد .

لم يكد يتم عبارته حتى اقترب منهما دون (فيبو) ، وربّت على كتف (خالد) فى حرارة ، وهو يقول فى مرح :

— أرجو أن يروق لكما الحفل يا صديقىَّ .

ثم استطرد موجهًا حديثه إلى (خالد) وحده :

— أما زلت تصرّ على بقاء المرأة المصاحبة لك فى بُرج قلعتى يا عزيزى (ليوناردو) ؟.. إن موقفك هذا يثير فضولى .. أهى زوجة خانتك أم ..؟

قاطعه (خالد) فى غضب :

— صه أيها الغبىّ .

أما (نور) فقد تألّقت عيناه فى ظفر ، وهو يقول :

— لماذا يا عزيزى (ليوناردو) .. دع دون (فيبو) يقصّ علينا ما لديه ، فقصة تلك المرأة تثير اهتمامى .. أين قلعتك بالضبط يا دون (فيبو) .

قبل أن يفوه (فيبو) بحرف واحد استلّ (خالد) سيفه ، وصاح فى شراسة :

— لا تفه بحرف واحد يا دون (فيبو) .. إنه جاسوس .. جاسوس .

وهوى بسيفه على رأس (نور) ..

* * *

١٠ ـ المبارزة ..

كان الصراع هذه المرة يواكب عصره تمامًا ..

لقد استلّ (نور) سيفه بدَوْره ، وتلقّى على حافّتِه نصْلَ سيْف (خالد) ، ودارت بين الخصْمَيْن مُبارَزَة ..

مبارزة قويَّة عنيفة ، ارتفع لها صليل السُيوف ، وسط قاعة قصر (فيبو) ، وهى تتقارع ، وتلتقى ، وتتباعد فى قوَّة وسرعة وإصرار ..

ومع التقائها قال (نور) لخصمه فى صرامة :

ـ ما رأيك بمبارزات القرن السادس عشر أيها الوغد ؟

دفعه (خالد) فى عنف ، وهو يقول :

ـ بل الخامس عشر أيها الغبى .. لن يبدأ القرن السادس عشر قبل منتصف الليل .

صاح (نور) فى حزم :

ـ سيبدأ مع نهايتك أيها الحقير .

وفجأة قفز (نور) إلى الوراء ، ولوَّح بسيفه فى وجه

(خالد) ، ثم ألقاه نحوه ، وقفز خلف السيف ، ولم يكد (خالد) يتفادى نصل السيف ، حتى تلقّت فكه ركلة قويَّة من قدم (نور) ، وصرخت معدته مع لكمة ساحقة غاصت فيها ، وعانى أنفه آلامًا مبرِّحة مع لكمة ثانية ، دفعت الدماء خارجه فى غزارة ..

وانتزع (نور) سيف (خالد) ، وألقاه بعيدًا ، وجذب هذا الأخير إليه فى قسوة ، وهو يقول فى غضب :

ـ أين (سلوى) يا (خالد) ؟.. أين هى ؟

استلّ (فيبو) سيفه فى سخط ، وصاح غاضبًا :

ـ إنك تهين ضيفى فى قصرى يا بارون (نوردان) .

صاح (نور) فى جدَّة :

ـ ضيفك هذا وغد حقير يا دون (فيبو) .. لقد سرق زوجتى .

هتف (خالد) فى سخط :

ـ إنها زوجتى أنا ، وهذا الشاب يسعى لسرقتها .

تجاهل (نور) السيْف المشهور فى وجهه ، وعاد يجذب (خالد) إليه فى قسوة ، وهو يقول :

ـ أين قلعة (فيبو) ؟

أشار (خالد) إلى (فيبو) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ سله .. ها هو ذا أمامك .

عقد (فيبو) حاجبيه ، ونصب هامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد جاءت المرأة إلى قلعتى بصحبة (ليوناردو) ، ولن تغادرها مع سواه .

صاح (نور) فى وجهه غاضبًا :

ـ سأنتزع زوجتى من قلعتك ، ولو اضطُرِرْتُ لتمزيقك إربًا فى طريقى .

قال (فيبو) فى صرامة :

ـ أتحدَّاك .

وهنا برزت فى رأس (خالد) فكرة شيطانية ، فهبَّ واقفًا ، وهو يقول فى جِدَّة :

ـ أراهنك أنك لن تنجح فى اختراق قلعة دون (فيبو) أبدًا .. أراهنك بمليون ليرة .

عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، فى حين تألَّقت عينا (فيبو) ، وهو يقول فى جذل :

ـ نعم .. نعم .. أراهنك أنا أيضًا بعشرة ملايين ليرة .

تحوَّل الأمر فجأة إلى لعبة ، فقد تدافع الجميع يلقون برهاناتهم ، وقد انحاز أغلبهم إلى (فيبو) و (خالد) ، فى حين لم يراهن لصالح (نور) سوى رجلين ، وصاح (نور) محنقًا :

ـ إنها ليست لعبة .. إننى أريد استعادة زوجتى .

أجابه (خالد) فى شماتة :

ـ افعل إذن .. أمامك حتى صباح الغد ، فإما أن تستعيد زوجتك المزعومة هذه ، أو ....

والتفت إلى (فيبو) ، قبل أن يستطرد فى شراسة :

ـ أو يذبحها صديقى (فيبو) .

تألَّقت عينا (فيبو) ، وهتف فى شغف :

ـ نعم .. أنقذ زوجتك قبل أن تملأ أشعة الشمس حجرات قصرى ، أو أهب لك جثتها من قطعتين .. جسم ورأس .. والمبارزة تبدأ منذ هذه اللحظة .

* * *

سار (نور) طويلًا وسط طريق مزدحم بالمحتفلين بعيد الميلاد ، ثم انحرف فجأة فى طريق جانبى ، وتوقَّف أمام مخزن غلال ضخم ، فقرع بابه ، وانتظر لحظات حتى فُتح الباب فى هدوء ، فدلف إلى الداخل . وأغلقه خلفه فى إحكام واستقبله (محمود) هاتفًا :

— هل توصّلت إلى مكان (سلوى) ؟

أجابه (نور) فى صوت يشفّ عن انفعاله :

— نعم .. إنها فى قلعة (فيبوناتشى) ، خارج المدينة ، وسيحتاج إخراجها من هناك إلى معركة .

غمغم (رمزى) :

— لقد كنا نتوقّع ذلك يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

— نعم .. كنا نتوقّع ذلك .

ثم التفت إلى الأجسام الضخمة ، التى تحتلُّ المخزن ، وهو يستطرد فى اهتمام بالغ :

— هل انتهيتما من عملكما ؟

أجابه (محمود) :

— تقريبًا .. لقد استعنّا بدراساتنا عن المحرّكات القديمة ، ولقد أبدى النجّار والحدّاد دهشتهما البالغة ، حينما عرضنا عليهما الرسوم التى نطلب منهما صنعها ، ولكننا أقنعناهما بأنها لعبة لخدعة هزليّة ، بمناسبة أعياد الميلاد .

سأله (نور) بقلق :

— وهل ستعمل كلُّها ؟

أجابه (رمزى) فى توتُّر :

— أتمنّى ذلك .

تنهّد (نور) ، قبل أن يقول فى انفعال واضح :

— سنبذل أقصى جهدنا لتعمل تلك الأجهزة يا رفاق ، وإلّا خسرنا (سلوى) ، وخسرنا معركتنا ضد عدوّنا عبْر العُصور ..

* * *

تلوّن الشفق بأضواء الفجر الأولى ، وملأت تلك الصورة الطبيعية الخلّابة عينى رجل أصلع الرأس ، كث اللحية والشارب ، غزيرهما ، أشيبهما ، انهمك فى نقل المشهد بألوان زيتية إلى لوحته فى براعة مدهشة ، وكأنما يمتلك عينين فوتوجرافيتين ، ولمسة فنية ساحرة ، غير شاعر بذلك الكهل الوقور ، الذى دَلف إلى حجرته ، وتأمّل مايصنعه بلوحته لحظات ، قبل أن يغمغم فى انبهار :

— يا لروعتها يا (دافنشى) !! إنك تضيف إلى أمجادك مجدًا جديدًا .

غمغم (ليوناردو دافنشى) .. أعظم عباقرة العصر[*] :

(*) (ليوناردو دافنشى) = (١٤٥٢ — ١٥١٥م) = أعظم عباقرة العصر بلا منازع ، فهو رسام ، ومثّال ، وموسيقىّ ، ومهندس ، وعالم ، وحكيم ، وله تصميمات رائعة ، تسبق عصره بأجيال ، منها الهليوكوبتر ، والمظلة الواقية ، والمدفع الرشاش ، وغيرها ..



وتصلَّبت ريشة (دافنشى) بين أصابعه ، فأمامهما ، عبر مشهد الشروق ، ووسط ألوان الشفق ، عبر السماء طائر ضخم ..

ـ المجد للربّ وحْده يا عزيزى (بياندى) .

صمت (بياندى) لحظة أخرى ، قبل أن يسأله فى شغف :

ـ هل تعلم ماذا يحدث فى قلعة (فيبوناتشى) ؟

هزَّ (دافنشى) رأسه نفيًا فى صمت ، فاستطرد (بياندى) فى اهتمام :

ـ لقد عاد إليها ، بدلًا من أن يقضى عيد الميلاد فى (روما) كعادته ، ولقد أعلن حالة التأهب القُصْوَى ، ويقولون إنه ينتظر هجوم شاب غريب على قلعته .

عقد (دافنشى) حاجبيه الكثَّين ، وهو يغمغم :

ـ هجوم ؟؟!.. هل أُعلِنَت الحرب ؟

قال (بياندى) فى شغف :

ـ بل إنه رِهَان .. لقد تحدَّى (فيبوناتشى) ذلك الشاب أن يقتحم قلعته و ....

وفجأة تسمَّر (بياندى) ، وتصلَّبت ريشة (دافنشى) بين أصابعه ، فأمامهما ، عبر مشهد الشروق ، ووسط ألوان الشفق ، عبر السماء طائر ضخم ..

بل طائرة صنعها (نور) ورفاقه ليجابهوا عدوَّهم .. عدوّهم عبْرَ العصور ..

* * *

١١ ـ قلعة الخطر ..

لم يكن ذهول (فيوناتشى) ورجاله بأقلّ من ذهول (دافنشى) و (بياندى) ، فقد كانوا ينتظرون هجومًا بالمدافع ، أو بفرسان على صهوة جياد ، أما هجوم جوّىّ ، فقد كان ذلك يفوق كل خيالاتهم وتوقُّعاتهم ..

شخص واحد لم يشعر بالدهشة ، وإنما بالغضب ..

الدكتور (خالد رضوان) ..

لقد كان واثقًا من أنه ـ وبعد أن جرَّد (نور) من مسدَّسه الليزرىّ ـ قد بات يقاتل رجالًا فقدوا كل أسلحة عصرهم ، وأصبحت هزيمتهم أمرًا هيِّنًا ، أما أن يشحذوا قريحتهم ، ليخرجوا إليه بأسلحة ، تعدّ بالنسبة لعصره وعصرهم بدائية قديمة ، أمّا بالنسبة لهذا العصر ، فهى وحش خرافىّ خطير ..

طائرة من الخشب ، بمحرِّك معدنى بدائىّ ، ومدفع رشاش بسيط للغاية ، ولكنه أثار قدرًا هائلًا من الذعر والفزع ،

وشتَّت الصفوف ، حينما أمطر رجال (فيو) بوابل من رصاصات معدنية يدويَّة الصُّنع ..

وتراجع (فيو) ورجاله فى رعب ، وبدت لهم تلك الطائرة ، التى يقودها (رمزى) أشبه بطائر الرخ الخرافىّ ، الذى لا يُبقى ، ولا يَذر ، وصرخ (فيو) :

ـ إنه كابوس .. كابوس بشع .

صرخ به (خالد) فى عصبية :

ـ لا تجعل كتلة من الخشب والحديد تفزعك إلى هذا الحدّ .. أطلقوا عليهم الصخور من المنجنيق (*) .

صاح (فيو) برجاله يأمرهم باستخدام المنجنيق ، ولكن رصاصات طائرة (رمزى) أحاطت بهم ، ومنعتهم من تنفيذ الأمر ، فى نفس اللحظة التى صاح فيها أحدهم فى ذعر :

ـ هناك شىء ما يهاجمنا من الأرض .

وشهق الجميع فى ذُعْر وعَجْز ، فقد كانت هناك سيَّارة مدرَّعة ، لها جدران من جُذوع الأشجار القوية تهاجم باب

(*) المنجنيق = آلة حربيَّة بدائية قديمة ، تعتمد على ملعقة ضخمة ، تحشى بالحجارة ، ثم تلقى الحجارة عن طريق دفع الملعقة الضخمة ، لتصيب الأعداء والأهداف .

القلعة ، وتمطره بقذائف متفجِّرة ، أحالت الموقف إلى حرب مخيفة مدمِّرة ..

سيارة يقودها (محمود) ..

وساد الهرج والمرج فى القلعة ، وراح رجال (فيبو) يمطرون الطائرة والسيَّارة بسهامهم ورماحهم ، ويحاولون تصويب قنابل مدافعهم الثقيلة نحوهما ، ولكن ذعرهم وتوترهم جعلهم يفشلون فى إصابة الهدفين تمامًا ..

وعلى بعد أمتار عديدة من تلك الحرب المستعرة ، اجتاح الانفعال جسد (دافنشى) ونفسه ، وهو يصيح بـ(بياندى) :

ـــ إنها معجزة يا (بياندى) .. معجزة هبطت من السماء ، لتحطِّم (فيوناتشى) بكل غروره وغطرسته واستهتاره .. ناولنى الأوراق والأقلام .. أسرع .

أسرع (بياندى) يجلب إليه الأوراق والأقلام ، وراح قلم (ليوناردو دافنشى) ، عبقرىّ كل العصور ، يسجِّل ما تراه عيناه فى جزل وانبهار ، وهو يهتف فى انفعال :

ـــ إنها معجزة .. حقًّا معجزة ..

أما (خالد رضوان) ، فقد بلغ سخطه ذروته ، وهو يصرخ :

ـــ لن ينتصر علىَّ هذا الرائد .. لن ينتصر أبدًا .

وجذب (فيبو) من ذراعه فى قسوة ، وهو يهتف :

ـــ أين الفتاة ؟

صاح (فيبو) فى اضطراب :

ـــ هناك .. فى الحجرة المنفردة ، فى برج القلعة العلوىّ .

انطلق (خالد) يعدو نحو البرج العلوىّ ، وهو يغمغم فى سخط :

ـــ لو أصرَّ على الحصول عليها ، فلن ينالها سوى جثة هامدة .

واستلَّ سيفه فى غضب ، ولكنه تسمَّر فى مكانه فجأة ، حينما صكَّ مسامعه هدير قوىّ ، وبرزت من خلف البرج العلوىّ للقلعة طائرة بدائية للغاية ، نعرف الطرازات المتطوِّرة لها الآن باسم (الهليوكوبتر) ..

لقد وصل (نور) ؛ لإنقاذ زوجته ..

* * *

رأت (سلوى) من سجنها ما يحدث ، وشعرت به ، وأيقنت منذ اللحظة الأولى أن هذه الحرب تشنّ من أجلها ، فاجتاحها الانفعال ، وابتهلت إلى الله (عزّ وجلّ) ألاّ يخذل زوجها ورفيقَيْها ..

ولم تكد تسمع هدير (الهليوكوبتر) الخشبية ، وتراها وهى تحلق فوقها ، حتى أدركت على الفور أن قائدها هو زوجها (نور) ، فاختلج قلبها فى سعادة ، وصاحت فى أمل :

ــ أسرع يا (نور) .. أسرع .

ولكنها رأت (خالد) يركض نحو البُرْج ، وقدّرت أنه سينجح فى الوصول إليها ، قبل أن يهبط (نور) (بالهليوكوبتر) ، ويصل إليها ، فعادت تصرخ فى ذعر :

ــ أسرع بالله عليك يا (نور) .. أسرع ..

(خالد رضوان) أيضًا قدَّر نفس ما قدَّرته (سلوى) ؛ لذا فقد شعر بسخط هائل ، يفوق ما شعرت به (سلوى) من فرحة ، حينما أقدم (نور) على خطوة لم تكن فى الحسبان ..

لقد قفز من (الهليوكوبتر) بمظلة بدائية الصنع ، وهبط بها نحو جدار البرج فى سرعة ..

وصرخ (خالد) فى غضب وثورة :

ــ اللعنة !!

ولعن (نور) ألف مرَّة ؛ لأنه حطَّم جهاز الانتقال الآنىَ الخاصّ به ، الذى كان سيكفل له الوصول إلى (سلوى) فى لحظة .. بل أقلّ من اللحظة ، وزاد من سرعة عَدْوه ليبلغ

زنزانة (سلوى) ، قبل أن يبلغها (نور) ، الذى تعلّق بنافذة البرج العلوية وتخلَّص من مظلته البدائية ، وقفز داخل البرج ..

وهبّ حارسا الزنزانة لملاقاته ، بسيفيهما ورمحيهما ، ولكن قدرات (نور) القتالية المتطوِّرة ، التى تمرَّس عليها فى القرن الحادى والعشرين ، ورغبته الشديدة فى إنقاذ زوجته ، جعلاه يتجاهل تلك الأسلحَة ، ويتفادى أسنَّة الرِّماح ، ونصَال السُّيوف ، ويدفع قدمه فى معدة أحد الحارسَيْن ، ثم يكيل للثانى ثلاث لكمات قويَّة ساحقة ، قبل أن يستدير إلى الأوَّل ، ويحطم فكّه وأنفه بلكمتَيْن صاعقتَيْن ..

وبسرعة ، وبدون أن يضيع لحظة واحدة ، التقط مفاتيح الزنزانة ، وأسرع يحرِّر زوجته ، التى لم تكد تراه حتى ألقت نفسها بين ذراعيه ، وهى تهتف فى سعادة دفعت الدموع من عينيها :

ــ (نور) .. كنت أعلم أنك لن تتركنى هنا .. كنت أعلم ذلك .

هتف بها (نور) ، وهو يضمُّهـا إلى صدره فى فرح وحنان :

ــ لا يمكننى أن أتركك أبدًا يا (سلوى) .. أبدًا .. سنخرج من هنا .. سننجو جميعًا بإذن الله .

أعقب كلمته بصوت ساخط غاضب يصيح :

ـ على جثتى .

التفت (نور) إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، واستلّ سيْفه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ فليكن أيُّها الوغد .. سنغادر هذا المكان على جثتك .

ومرَّة أخرى تقارعت السُّيوف ، مع مشرق شمس القرن السادس عشر بعد الميلاد ..

* * *

من العسير أن يكتمل إنجاز حضارىّ متطوِّر . بإمكانات بالغة البدائية ..

لقد نفدت ذخيرة (رمزى) ، ونفد وقوده ، دون أن يدرى ؛ لأن طائرته البدائيَّة لم تكن مزوَّدة بعدادات تسمح له بكشف ذلك أو توقّعه ؛ لذا لم يعد أمامه سوى الهبوط بالطائرة ، وكأنها طائرة شراعيَّة بلا محرِّك ، وهو يدعو الله أن يكون (نور) قد نجح فى مهمته ..

وهبط بطائرته على مَقْرَبَة من سيَّارة (محمود) المدرَّعة ، التى نفد وقودها ، ونفدت ذخيرتها بدوْرها ، وقفز خارج الطائرة ، ليلحق بسيَّارة (محمود) ، وهو يهتف فى قلق :

ـ يبدو أن حربنا قد انتهت هنا يا صديقى .

أيّد (محمود) قوله بوجه شاحب ، وهو يغمغم :

ـ نعم يا صديقى .. يبدو أننا قد خسرنا المعركة .

ومن فوق أسوار قصره أدرك (فيبو) أن خصومه قد فقدوا مصدر قوّتهم ، فأعاد إليه هذا الأمل والحماس ، وهتف فى رجاله :

ـ اهجموا يا رجال .. أريدهم أحياء .. وأريد ذلك الذى هبط على البرج العلوىّ قبل الجميع .

اندفع رجاله يقتحمون بوَّابة القلعة ، ويكرّون على (محمود) و (رمزى) ، وأسرع جزء منهم إلى حيث زنزانة (سلوى) ، وحدَّد القدر المصير ..

لقد فشل الهجوم ..

* * *

كان (نور) و (خالد) يتقاتلان فى شراسة فى أعلى البرج ، وقد قرَّر كل منهما هزيمة خصمه ، مهما تكلّف الأمر ، وصاح (خالد) ، وهو يهوى بسيْفه على سيف (نور) :

ـ استسلم يا رائد القرن العشرين .. لن يمكنك هزيمتى .. إن النصر لى ، مهما تعقَّدت الأمور .

صاح به (نور) فى حِدَّة ، وهو يضرب سيفه فى قوَّة :

ـ سأسحير عبارتك السخيفة يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. على جثتى .

حَمِىَ وَطِيسُ القتال ، وغطَّى صليل السيوف على صوت الأقدام الثقيلة ، التى تصعد البرج ، حتى ألفى (نور) و (سلوى) و (خالد) أنفسهم فجأة محاطين برجال (فيبو) ، وسمعوا صوت قائدهم يصيح فى صرامة :

ـ ألقوا السُّيوف .. لقد انتهت المعركة .

شعر (نور) بلهيب السخط والغضب فى أعماقه ، إلَّا أنه لم يملك أمام كل هذه الرماح والسُّيوف ، المصوَّبة إلى صدره ، سوى أن يُلقِىَ سيْفه ، وهو يقول غاضبًا :

ـ أين سيِّدكم ؟

صاح (خالد) فى ظَفَر وشماتة :

ـ سينعم برؤية عنقك المقطوع أيها الرائد .

وبكل نذالة وخِسَّة ، هوى بسيفه على عنق (نور) .. الأعزل ..

* * *

١٢ ـ كلمة شرف ..

سار (رمزى) و (محمود) أمام جنود (فيبو) فى استسلام ، وغمغم (محمود) فى سخط ، وهم يدلفون إلى بهو القلعة ، حيث يجلس (فيبو) شامخًا منتصرًا :

ـ تُرى كم سيبلغ زهو هذا الرجل ، لو علم أنه قد انتصر على رجال جاءوا من مستقبله ؟

غمغم (رمزى) فى حَنَق :

ـ لا فارق يا (محمود) .. إنه سيجزّ عنقينا فى الحالتين .

وقف الاثنان أمام (فيبوناتشى) ، الذى عقد كفيه أمام وجهه ، وهو يتأمَّلهما فى اهتمام وصمت ، ثم غمغم فى هدوء :

ـ تهنئاتى .. لقد كنتما رائِعَيْن .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

ـ ولكنكما هُزمتما .

سأله (رمزى) فى عصبية :

ـ ما الذى تنوى أن تفعله بنا يا (فيبوناتشى) ؟

غمغم (فيبو) ، وكأنه يكرّر العبارة ذاتها :
ــ ما الذى تنوى أن تفعله بهما يا (فيبوناتشى) ؟
ثم انحنى نحو (رمزى) و (محمود) ، وابتسم وهو يستطرد فى شماتة :
ــ سأقطع عنقيكما بالطبع .. بل أعناقكم جميعًا .. هل يرضيك هذا الجواب ؟
لم يفه أيهما بحرف واحد ، فى حين سرت فى جسديهما قشعريرة قوية ، وتبادلا نظرة يائسة ، ودار بخلد كل منهما نفس السؤال :
ــ أين (نور) و (سلوى) ؟.. وما الذى أصابهما ؟

* * *

كان من المستحيل أن يتفادى (نور) نصل السيف القاتل هذه المرّة ..
ليس لأن مرونته لا تكفى لذلك ، ولا لأن الخوف قد أعجزه ..
وإنما لأن زوجته (سلوى) كانت تقف خلفه تمامًا ..
لو أنه تفادى هبوط السيف على عنقه ، لجزّ نصله عنق (سلوى) ..

وهو يرفض لها هذا المصير ..
وفجأة تدخل القدر ليحول بينه وبينها .. وبين ذلك المصير ..
تدخّل فى صورة سيف قائد الحرس ، الذى اندفع ليصد سيف (خالد) ، قبل أن يمسّ عنق (نور) ، مع صوت القائد ، وهو يهتف فى صرامة :
ــ رويدك يا دون (ليوناردو) .. لقد أمر دون (فيوناتشى) بإحضارهما حيَّين .
صرخ (خالد) فى غضب وسخط :
ــ ولكننى آمرك بقتلهما .
أجابه القائد فى برود :
ــ إننى أعمل وأتلقَّى الأوامر من دون (فيوناتشى) وحده يا دون (ليوناردو) .
ثم انتزع سيف (خالد) فى حركة حادَّة ، وهو يستطرد فى صرامة :
ــ وهو وحده سيحدِّد مصير الجميع .

* * *

أطلق (فيوناتشى) ضحكة عالية ، تموج بالسخرية

والشماتة ، وهو يتطلّع إلى وجوه (نور) ورفاقه ، ثم عاد يعقد كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ إننى أتساءل .. هل ستبدو رءوسكم المحنّطة جميلة ، حينما أضيفها إلى مجموعتى من رءوس حيوانات الصيد ؟

ارتجفت (سلوى) ، وامتقع وجهها فى شدة ، وهى تتخيّل رأسها محنّطًا ، ومعلّقًا وسط إطـــار من الخشب الأسود ، على حائط مكتب (فيبو) ، وسرت رعدة قويّة فى جسدَىْ (رمزى) و (محمود) ، فى حين ظلّ صوت (نور) ثابتًا ، قويًا ، وهو يقول :

ــ أنت رجل لا شرف له يا دون (فيوناتشى) .

عقد (فيبو) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ــ هل تتعجّل موتك أيها الحقير ؟

صاح به (نور) فى صرامة :

ــ إننى أرحّب بالموت شريفًا ، بدلًا من أن أحيا فاقد الشرف مثلك يا (فيبو) .

هبّ (فيبو) من مقعده ، وهو يصرخ فى غضب :

ــ أيها الوقح المتبجح .

صاح به (نور) :

ــ من منّا الوقح المتبجّح يا (فيبو) .. لقد راهنت على أن أقتحم قلعتك ، وأصل إلى زوجتى ، قبل أن يغمر الضوء حجرات قلعتك ، ولقد فعلت ، ولكنك ترفض الاعتراف بذلك ، حتى لا تدفع دينك لمن راهنا لصالحى .. هل تعدّ ذلك شرفًا ؟

امتقع وجه (فيبو) ، وقبل أن يلفظ بحرف واحد ، ارتفع صوت غاضب يقول :

ــ هذا صحيح .. البارون (نوردان) على حقّ .

وبرز من بين الصفوف رجل وقور ، رفع راحته فى وجه (فيبو) ، وهو يستطرد فى غضب وصرامة :

ــ لقد كان هذا هو الرهان ، كما فهمناه جميعًا .. إنك لم تشترط هزيمته لك ، ولكن نجاحه فى الوصول إلى زوجته فحسب . ولقد راهنت أنا .. القاضى (ريشيلو) ، وزميلى القاضى (ماستورى) على ذلك .. ونحن نستحق قيمة الرّهان .

غمغم (فيبو) فى شحوب :

ــ ولكنه لم ينجح تمامًا أيها القاضى المحترم و ....

قاطعه (ريشيلو) فى صرامة :

ـ ألم يخترق خطوطك الدفاعية ؟.. ألم يصل إلى زوجته ؟

اندفع (ماسعورى) يقول غاضبًا :

ـ ثم إنها زوجته ، وقواعد الشرف تقتضى أن يسترجعها ، مادام قد ربح .

انتاب الجزع (خالد) ، وخشى أن يفلت (نور) ورفاقه من الموت ، الذى ينتظره لهم ، فهبّ واقفا ، وهو يصرخ فى ثورة :

ـ إنهم خونة .. جواسيس .. ينبغى قتلهم .. أراهن أنهم لا يحملون أية أوراق شخصيّة .

قال (نور) فى سخرية :

ـ وماذا عنك أنت ؟.. هل تنكر أنك قد أتيت إلى هنا سعيًا وراء السيطرة على (إيطاليا) كلها ، والعالم من بعدها ؟

هتف (خالد) فى سخط :

ـ هُرَاء .

عاد (نور) يقول فى سخرية :

ـ هل تحمل أوراقًا شخصيَّة مثلًا ؟

هتف (خالد) :

ـ بالطبع .

وأخرج من طيّات ثيابه ورقة مطويّة ، لوّح بها ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى أوراق .

تقدّم منه (نور) فى هدوء ، والتقط الورقة ، وتأمّلها لحظة ، ثم ابتسم فى سخرية ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ أوراق زائفة يا دون (ليوناردو) .. إننى أتهمك بأنك جاسوس للبلاط الإنجليزى .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وقال القاضى (ريشيلُو) فى صرامة :

ـ إنك تلقى إتهامًا شديد الخطورة أيها البارون (نوردان) .. إن عقوبة التجسّس لحساب البلاط الإنجليزى هى الإعدام ، وعليك أن تثبت صحة اتهامك .

رفع (نور) ورقة (خالد) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هاك الدليل أيها القاضى المحترم .. تلك الأوراق ، التى أراد أن يثبت بها صحة ادّعائه ، هى التى ستدينه .

صاح (خالد) فى غضب :

ـ أنت كاذب .. كل التوقيعات والأختام سليمة .

لم يكن لدى (نور) أدنى شك فى صحة التوقيعات

والأختام ، فقد كان يعلم أنه من السهل على (خالد) أن يحصل عليها من أى متحف تاريخى ، وينقلها بوسائل القرن الخامس والثلاثين المتطوّرة على الأوراق ، إلّا أنه لوّح بالورقة ، وهو يقول فى هدوء ساخر :

ـ وماذا عن الورق نفسه يا دون (ليوناردو) ؟.. أراهنك أنك لن تجد مثيلًا له فى (إيطاليا) كلها .

ثم أردف باللغة العربية ، وبنفس اللهجة الساخرة الهادئة :

ـ لأن هذا النوع من الورق لم يُخترع قبل القرن التاسع عشر يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

شحب وجه (خالد) ، واختطف القاضى (ريشيلو) الورقة من يد (نور) ، وتحسّسها فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ـ هذا صحيح .. إنه ورق عجيب .. لا ريب أنهم يستعملونه فى البلاط الإنجليزى .

همس (رمزى) فى أذن (نور) بإعجاب :

ـ لعبة بارعة يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وهو يهمس فى هدوء :

ـ شكرًا يا عزيزى (رمزى) .

أما القاضى (ريشيلو) ، فقد التفت إلى (خالد) ، يسأله فى مزيج من الغضب والصرامة :

ـ ما قولك يا جاسوس البلاط الإنجليزى ؟

امتقع وجه (خالد) فى شدة ، ثم هتف فجأة فى سخط :

ـ هُراء .

وتقدّم نحو منتصف القاعة ، وهو يستطرد فى غضب ، ملوّحًا بذراعيه :

ـ إنهم يلجئون للخداع .. لا تجعلوا خدعتهم تنطلى عليكم .. إنهم ..

وفجأة بتر عبارته ، ليضغط قرصًا صغيرًا مستديرًا فى راحته ، ويصرخ غاضبًا :

ـ إنهم من المستقبل أيها الأغبياء .

وفى جزء من أعشار الثانية ، ظهرت الفقاعة الزجاجيّة الضخمة وسط القاعة ، وتراجع الجميع فى ذعر وذهول ، وهتف (نور) فى سخط :

ـ يا إلهى !!.. الحقوا به قبل أن يفرّ .

ولكن (خالد) قفز داخل الفقاعة ، وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يهتف :

ـ فشلتم هذه المرّة أيضًا يا رجال القرن الحادى

والعشرين .. ستكون لنا جولة أخرى ، بين رعاة الأبقار الأمريكيين .. سنلتقى ونتقاتل بالمسدَّسات والبنادق هذه المرَّة .

وردَّدت جدران القاعة ضحكته الساخرة الثانية ، وقفز (نور) محاولًا اللحاق به ، ولكن الفقاعة اختفت وتلاشت ، قبل أن يمسّها (نور) ، وبقى صوت ضحكة (خالد) الساخرة عبر القاعة ..

وعبر العُصور ..

* * *



١٣ ـ عَبْر العُصور .

انحنى (باندى) يفحَص بقايا الطائرة (الهليوكوبتر) المحطَّمة ، والتفت إلى (ليوناردو دافنشى) ، الذى انهمك فى فحص تصميم الطائرة الأخرى ، وقال فى انبهار :

ـ هل علمت ما حدث صباح اليوم فى قلعة (فيبوناتشى) يا (دافنشى) ؟.. يقولون إن أحد ضيوفه كان ساحرًا خطيرًا ، وإنه قد أحضر فقاعة زجاجية ضخمة إلى القاعة ، ودَلَف إليها ، واختفى أمام أنظار الجميع .

غمغم (دافنشى) فى هدوء :

ـ هل تصدِّق هذه الخُزَعْبلات ؟

هتف (باندى) فى حماس :

ـ وماذا عن تلك الآلات الرائعة ؟.. هل تعتبرها خُزَعْبَلات أيضًا ؟

تحسَّس (دافنشى) جسم الطائرة فى انبهار ، وهو يغمغم :

ـ بل واقع يا عزيزى (باندى) .. واقع ملموس .

هتف (ياندى) :

ـ ما هى إذن ؟

أجابه (دافنشى) مشدوهًا :

ـ اختراعات حديثة يا صديقى .. اختراعات ستقفز بالعلم والتطوُّر إلى القمة .

سأله (ياندى) فى شغف :

ـ هل يمكنك صنع مثلها ؟

تنهَّد (دافنشى) ، وهو يقول :

ـ امنحنى وقتًا أطول للدراسة ، وسأصنع عشرات مثلها يا صديقى .. إنها مجرَّد ..

قاطعه صوت خشن صارم :

ـ لن تحصل على دقيقة واحدة إضافية يا سيِّد (دافنشى) .

التفت (دافنشى) ليرى جنود (فيو) ، وهم يتقدَّمون نحو بقايا الآلات ، فهتف بقائدهم مستنكرًا :

ـ ماذا تعنى ؟.. إنها أسلحة رائعة ، ستضمن لـ(إيطاليا) كلها تفوُّقًا حربيًّا مذهلًا و....

قاطعه القائد بصوته الخشن الصارم :

ـ هُراء .. إنها أدوات سحر أسود ، وسنعدمها الآن .. هكذا أمر دون (فيو) .

صاح (دافنشى) فى استنكار :

ـ أى تخلُّف هذا ؟.. كيف تعدمون هذه الآليات الرائعة ، بحجة أنها .. ؟

قاطعه القائد مرَّة أخرى فى صرامة :

ـ سنعدمها هكذا .

وأشعل النار مع رجاله فى البقايا الخشبية ، ووقف (دافنشى) يراقب النيران ، وهى تلتهم الآليَّات يائسًا ، وغمغم (ياندى) فى أسف وحزن :

ـ لم يمهلنا القدر حتى يتحقَّق الحلم يا صديقى (دافنشى) .

تمتم (دافنشى) فى حزم :

ـ ولكننا نقلنا صورها إلى الأوراق يا صديقى .. ويومًا ما سيتحقَّق الحلم .. ومن يدرى ؟

ربَّما كانت رسومى هى البداية ..

ولقد كان على حق ..

كما يؤكِّد التاريخ ..

* * *

تطلّع (فيوناتشى) وضيوفه فى دهشة إلى الثياب العجيبة ، أو التى بدت لهم كذلك ، التى ارتداها (نور) ورفاقه ، فلقد أبدل كل منهم ثوبه ، الذى يتلاءم مع (روما) القرن السادس عشر ، وارتدى سروالًا أزرق اللون ، من قماش سميك ، وقميص من الكتان الملوَّن بخطوط طولية وعرضية ، ووضع على رأسه قبعة غير مألوفة فى ذلك العصر ، ذات حواف عريضة ، وتمنطق بحزام جلدىّ ، يحمل قطعًا معدنية مدبَّبة الأطراف ، ويتدلّى من جانبه الأيمن جراب سميك ، يحوى مسدَّسًا عجيب الشكل ، واحتذى حذاءً ذا كعب مرتفع ، يبرز من خلفه مهماز مستدير ..

حتى (سلوى) كانت ترتدى الزىّ نفسه ، وهى تُسْدِلُ شعْرها على جانبى وجهها ، أسفل القبعة ..

وهتف القاضى (ريشيلُو) فى حَيْرة :

— ما هذا الزىُّ يا أبنائى ؟.. إننى لم أر مثيلًا له أبدًا !!.

تنهَّد (رمزى) ، وهو يقول :

— إنه يناسب المكان الذى سنذهب إليه ، خلف ذلك الوغد يا سيِّدى .

غمغم القاضى (ماستورى) فى حَيْرة :

— أى مكان هذا ؟

أجابه (نور) :

— أرض جديدة بالنسبة لعصركم .. أعنى لوطنكم أيها القاضى المحترم .. زمن كان القول الفاصل فيه للقوة ، وصوت الرصاص ، وليس للحكمة والعقل .

غمغم (فيو) فى دهشة :

— كان ؟!.. هل تعنى أن هذا كان فى الماضى ؟

تبادل (نور) ورفاقه النظرات ، ثم أجاب (نور) فى هدوء :

— وماذا يعنى الماضى والمستقبل يا دون (فيو) ؟.. إن ماضينا قد يكون مستقبلكم ، وماضيكم قد يكون مستقبل الآخرين .. إن الزمن يا سيِّدى هو خيط واحد ، نتحرَّك نحن فيه إلى الأمام ، ولكنه باق .. باق يا دون (فيو) .

حاول (فيو) وضيوفه استيعاب ذلك المنطق ، إلّا أنهم فشلوا ، فغمغم القاضى (ريشيلُو) :

— وكيف ستذهبون إلى تلك الأرض ؟.. هل تحتاجون إلى جياد أو عربات أو .... ؟

قاطعه (محمود) فى هدوء :

ـــ شكرًا ياسيِّدى .. سنذهب بالوسيلة ذاتها ، التى ذهب بها ذلك الوغد .

هتف (فيبو) فى دهشة :

ـــ ماذا ؟

قفزت دهشته ودهشة ضيوفه إلى ذروتها ، حينما ضغط (نور) ذلك القرص المستدير ، الذى يحمله ، فظهرت الفقاعة الزجاجية فجأة وسط القاعة ، وصاح القاضى (ماستورى) فى ذعر وذهول :

ـــ يارب السمٰوات ؟!

التفت (نور) إلى الجميع ، وهو يقول :

ـــ وداعًا أيها الأصدقاء .. وداعًا .

وفى صمت تام ، وسكون مطبق ، خطا (نور) ورفاقه داخل الفقّاعة الزجاجية ، ولوَّحوا بأيديهم للجميع ، قبل أن يضغط (نور) أزرار القيادة ، فتختفى الفُقّاعة بركّابها وتترك الصمت خلفها ..

وفجأة هتف (فيبو) :

ـــ ماذا يحدث هنا ؟

لم يُحِرْ أىٌّ من الحاضرين جوابًا لدقيقتين كاملتين ، ثم قال القاضى (ريشيلُو) فى صرامة

ـــ حلم .. مجرَّد حلم .. إننى لا أحبَّ أن يسخر أحد من قولى ، وما رأيناه ليس سوى حلم .

كانت لهجته شديدة الصرامة ، حتى أنهم قد عادوا إلى صمتهم مرَّة أخرى طويلًا ، قبل أن يغمغم (فيبو) :

ـــ نعم إنه حلم .. وسأقتل أوَّل من يدلى بتفسير آخر ..

ولكن الأمر كان حقيقة ..

حقيقة فريق جاء من القرن الحادى والعشرين ، ليقاتل عدوًّا عبْر الزمن والفضاء ..

وما زال القتال مستمرًّا ..

عَبْرَ العُصور .

باسل
Www.dvd4arab.com

* * *

[انتهى الجزء الأول]

[ويليه الجزء الثانى فى العدد القادم ٥٥]

[أسـرى الزمـن]